سلسلة

مفردات التربية الإسلامية

(١)

التربية الروحية

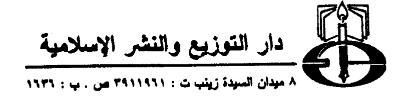
الدكتور

علي عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

التربية الروحية

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥ م



إهداء

إلى الذين يعملون فى صمت، ويحتسبون عند الله ما يقومون به من عمل وجهد فى تربية المسلمين، متخذين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مصدرا، ورافدا يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة.

وإلى الذين يرغبون فى أن يعرفوا عن التربية الإسلامية، ما لا يسع المربى جهله.

وإلى القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية:

البيت والمسجد والمدرسة والنادى والمجتمع، لعلهم يجدون فى هذه السلسة ما يعينهم على تربية المسلمين.

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب، سائلا الله تعالى لى ولهم توفيق الله تعالى ورضوانه.

على عبد الحليم محمود

بين يدى هذه السلسلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه وأوليائه والسائرين على دربه إلى يوم الدين.

وبعـــد ؛

فقد ظلت التربية الإسلامية هاجسا يشغلنى ما يقرب من خمسين عاما، من يوم بدأت أعمل باختيارى فى مجال الدعوة إلى الله فى المساجد وفى شعب «الإخوان المسلمين» وهى أندية ثقافية واجتماعية ورياضية، يجتمع الناس بها على فعل الخير وما يرضى عنهم ربهم سبحانه وتعالى، ويتفقهون من خلال أنشطتها فى أمور دينهم ودنياهم، واستمر معى هذا الاهتمام بعد أكملت دراستى فى كلية اللغة العربية بالأزهر وكلية التربية بجامعة عين شمس، حيث عملت مدرسا فى وزارة التربية والتعليم قبل أن أعمل فى التدريس بالجامعة، ولازمنى هذا الاهتمام بعد أن أصبحت أبًا مسئولا عن تربية أبنائى.

هذا الاهتمام بالتربية الإسلامية جعلنى أبحث عن قيم هذه التربية، وأسسها، وأهدافها، ووسائلها، وميادينها، ومفرداتها، وأقارن ما أصل إليه بما درسته وتعلمته عن التربية كما يفهمها الغرب، وأخرج من هذه المقارنات بنتائج تستحق التسجيل والكتابة والنشر، وأحاول ما وسعنى أن أخرج الدراسة التى توصلت إليها إلى مجال العمل والتطبيق.

وكان من توفيق الله تعالى لى أن أسهم بعديد من المحاضرات العامة، والبحوث والدراسات فى مجال التربية الإسلامية، وأن أشارك فى عدد من المؤتمرات الخاصة بالتعليم والتربية، وأن أفيد من كل ذلك ما أضيفه إلى ما عندى فى هذا الموضوع.

كما هيأ الله تعالى لى أن أؤلف كتاباً فى أول ميدان من ميادين التربية الإسلامية وهو ميدان البيت، وهو كتاب : «تربية الناشئ المسلم»[1] تلقاه المهتمون بهذه القضية بقبول حسن فطبع أكثر من مرة.

وفى النية - إذا مد الله فى العمر وهيأ الأسباب - أن أكتب فى الميدان الثانى للتربية الإسلامية وهو المسجد، ثم فى الميدان الثالث لها وهو المدرسة، ثم الميدان الأخير وهو المجتمع، وربما كانت هذه أمنيات عريضة، ولكنى أقول لنفسى مع كل ما أتمنى كما قال السابق :

مُنًى إن نكن حقا تكن أطيبَ المنى
وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وهى كلها أمانى مشروعة محببة، فيها الكثير من الخير للمسلمين.

أما هذه السلسلة من الكتب :

«مفردات التربية الإسلامية» فهى تمهيد لتلك الكتب الثلاثة المرتقبة التى تحمل أسماء:

- التربية الإسلامية فى المسجد.
- والتربية الإسلامية فى المدرسة.
- والتربية الإسلامية فى المجتمع.

وكان الأصل أن تسبق سلسلة مفردات التربية الإسلامية كتاب تربية الناشئ المسلم الذى هو التربية الإسلامية فى البيت، ولكن إرادة الله تعالى شاءت، مع إلحاح الذين يحسنون بى الظن، فبدأت به قبل هذه السلسلة.

---

(١) نشرته دار الوفاء : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

هذه المفردات للتربية الإسلامية، هى مكوناتها ومادتها الرئيسة التى تسهم فى بناء شخصية المسلم وتتيح له إن تربى وفق قيمها ومعاييرها أن يكون المسلم الحق، القادر على الإسهام فى بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية.

وهى مفردات أو أسس لا تستطيع الشخصية التى تدين بالإسلام أن تحقق أهدافها إلا إذا ربيت عليها، والأهداف - كما هو معروف - هى :

توحيد الله تعالى إلها وربًا

واتباع منهجه «الكتاب والسنة».

وإعمار هذه الأرض التى يعيش فيها وفق منهج الله تعالى.

ولابد لتحقيق هذه الأهداف من وسائل، وأبرز هذه الوسائل هى :

- التعلـــم.
- والعلـــم.
- والتعليـم.

أى التربية تعلما وتحصيلا، وتعليما للغير، وكل ذلك من الواجبات الشرعية كما سنوضح فى هذا الكتاب.

ولقد حصرت هذه المفردات «فى عشر، بعد تفكير وتأمل ومعاناة لعملية التربية فى البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع مايقرب من نصف قرن من الزمان. وإذا لم تكتمل هذه المفردات الأساسية فى الشخصية المسلمة فسوف لا تستطيع أن تحقق تلك الأهداف جميعا، أو تحققها منقوصة أو معيبة، مما ينعكس أثره على الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع بكثير من الأضرار، ومما يؤدى بالمسلمين عموما إلى التراجع الحضارى والتبعية لغير المسلمين فى الفكر والثقافة

والاقتصاد والسياسة، بالإضافة إلى البعد عن منهج الله الذى اختاره للإنسان فى حياته الدنيا.

وهذه المفردات فى هذه السلسة هى :

- التربية الروحية.
- والتربية الخلقية.
- والتربية العقلية.
- والتربية الجسدية.
- والتربية الدينية.
- والتربية الاجتماعية.
- والتربية السياسية.
- والتربية الاقتصادية.
- والتربية الجهادية.
- والتربية الجمالية.

ولكل واحدة من هذه المفردات كتاب مستقل إذا أذن الله، أركز فيه على توضيح أبعاد التربية الإسلامية ما وسعنى، فإن وفقت فى ذلك فمن فضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن قصورى وتقصيرى، والله يتجاوز عنى بفضله الواسع.

وقد جاء البدء بهذا الكتاب «التربية الروحية» لأن الروح فى الإنسان هى سر حياته ووجوده، ولأنها أشرف ما فيه من مكونات، وحسبها شرفا أنها نفخة من روح الله تعالى.

ومما أحب أن أنبه إليه سلفا، أن هذه المفردات من التربية الإسلامية أو هذه

الأنواع يكمل بعضها بعضا، ولا يستغنى بعضها عن بعض، وإذا اجتمعت أسهمت فى بناء الشخصية المسلمة السوية.

ومع هذا التكامل فى هذه المفردات لابد من تلاؤم وتنسيق بحيث لا يهتم بمفردة منها على حساب الأخرى، وإلا حدث اختلال فى التربية يؤدى بالضرورة إلى اختلال فى بناء المجتمع.

ومما هو جدير بأن يلحظ أن وصف التربية بأنها إسلامية يحتاج إلى أن يلقى عليه من الضوء ما يوضحه، ويكشف دلالته ، بإذن الله تعالى.

وهذه السلسلة التى تشتمل على هذه الكتب، تستطيع - بعد أن تكمل - أن ترد كل أنواع المعاناة التى يشكو منها عالم المسلمين اليوم إلى سبب جوهرى هو :

«فقد المنهج الإسلامى فى التربية»

تربية الفرد، وتربية الأسرة، وتربية المدرسة، وتربية المجتمع، مما اصطلح على تقسيمه إلى قسمين كبيرين هما :

- التربية المدرسية .

- والتربية المستمرة.

وليس فقد المنهج بسبب ضياعه بعد أن كان، لأنه بكل تأكيد قائم وماثل يملأ الروح والعقل والشعور ويثرى الحياة الإنسانية كلها لو طبق، وما كان له أن يضيع وقد تكفل الله تعالى بحفظه على حين استحفظ الناس على مناهجه السابقة.

وإنما فقد المسلمون منهج الله لأنهم ابتعدوا عنه، وأولوه ظهورهم باحثين عن

سواه مؤثرين الباطل على الحق، والضلال على الهدى وما عند الناس على ما عند الله !!!

إن العالم الإسلامى عندما فقد المنهج وقع فى متاهات عديدة وأحدقت به أخطار كثيرة، أبرزها فيما أتصور الفرقة والتشرذم التى أدت إلى الضعف والضياع.

إن العالم الإسلامى اليوم مفرق فى أكثر من خمسين دولة فى عصر تسيطر عليه دواعى الاتحادات والوحدة، حتى بين الشعوب التى لا تربط بينها أسباب قوية للاتحاد أو الوحدة، على نحو ما نرى فى الوحدة بين دول أوروبا التى لا تجمع بينها عقيدة واحدة، ولا لغة واحدة، ولا جنسية واحدة. وعلى الرغم من ذلك كله فهى تتوحد اقتصاديا وتوشك أن تتحد سياسيا، حتى لقد أصبحت بهذا الاتحاد القوة الثانية فى العالم – بعد مصرع الاتحاد السوفيتى وكشف زيف منهجه وشعاراته الجوفاء بما عرف من إعادة البناء.

إن أوروبا من أجل التوحد نسيت ما كان ولا يزال بين دولها من عداوات تقليدية – كالتى بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا، ومجموعة الدول «الاسكندنافية» وهذا عين الحكمة أو ودليل بعد النظر.

يحدث هذا فى أوروبا بينما يعيش العالم الإسلامى فرقة وتمزقا على الرغم من دواعى الوحدة كلها، وبحسبه وحدة العقيدة، عقيدة التوحيد «لا إله إلا الله» ووحدة المنهج «محمد رسول الله»، ووحدة العبادة، ووحدة القبلة، ووحدة الهدف وهو إرضاء الله تعالى باتباع منهجه الذى أكمله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينا.

إن هذا العالم الإسلامى بما يضم من أكثر من ألف مليون مسلم يجمعهم

منهج الله على أمور الدنيا والآخرة، وقد تفرد من بين المناهج بصلاحيته لكل زمان ومكان، ولكل بنى الإنسان، إن هذا العالم الإسلامى بهذا المنهج هو الذى أورثه الله الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، ليعيش وفق المنهج ومع كل مفرداته، حتى يسود الحق والعدل، ويأمن الناس من الظلم والجور، والحكم بغير ما أنزل الله.

ولابد من كلمة فى هذا المنهج توضح ما يخفى على بعض الناس فيه، فهذا المنهج يتناول جانبين :

- جانب ثابت هو ما يتصل بالعقائد والعبادات والأخلاق، وهو فى هذا الجانب نسيج وحده بمعنى أنه لم يتأثر بما سبقه من مناهج البشر، ولا هو قابل لأن تتغير ثوابته مهما تغير الزمان والمكان والناس.
- وجانب متغير، وهو ما تستوجبه مستجدات الحياة ومتغيراتها، حيث فتح باب الاجتهاد وعلى مصراعيه لكل قادر عليه من المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد ثريت الحضارة الإنسانية وأفادت ما وسعها مما تفتقت عنه عقول المجتهدين من المسلمين فى كل شعب الحياة الإنسانية.

وسوف يظل هذا المنهج قادرا على مثل هذا العطاء طالما وجد من المؤمنين به من يخلصون له ويجاهدون فى سبيل تطبيقه، وعلى قدر مستوى المجتهدين المسلمين من العلم والإخلاص والجهاد والتضحية يكون عطاء المنهج على أرقى مستوى للحياة الإنسانية.

ولابد من التنبيه على أن المجتهدين من المسلمين فى أى عصر، لهم أن يأخذوا – بغير حرج – من الحضارات الأخرى وما أنتجته عقول المجتهدين

والمبدعين وأهل الخبرة فيها، بشرط واحد هو : ألا يخالف ما أخذوه من هذه الحضارات شيئا مما فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يكون محققا لمصلحة عامة للمسلمين أو دافعا عنهم ضررا.

ومخطئ من يقول لا ينبغى أن نأخذ من حضارات الآخرين، وغافل عن الفرق بين الثابت والمتغير من هذا المنهج.

إن التحدى الحقيقى للمسلمين اليوم هو أن تكون لديهم نظرية تربوية إسلامية متكاملة فى تكوين الشخصية المسلمة من تلك الجوانب أو هذه المفردات التى أشرنا إلى مجملها آنفا، وأن تكون هذه النظرية بالنسبة لهم فى مجال العمل والتطبيق.

وهذا ما سنحاوله فى هذه السلسلة من الكتب، سائلين الله تعالى العون والمدد والتوفيق.

ونودّ أن نوضح أن هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» هى «المدخل للتربية الإسلامية» الذى وعدنا به فى كثير من كتبنا، وهو الذى يمهد للتربية الإسلامية عملياً فى البيت والمدرسة والمجتمع والله تعالى هو المستعان .

الباب الأول

المدخل إلى هذا الكتاب

المدخل إلى هذا الكتاب :
«التربية الروحية»

التربية الروحية إحدى مفردات التربية الإسلامية أو أنواعها ولذلك كان من المناسب أن نعرف بالتربية الإسلامية تعريفا نتناول فيه بإيجاز عددا من النقاط الجوهرية فى التعريف بها.

وتلك النقاط هى :

١ – توضيح مفهوم التربية الإسلامية العام والخاص.

٢ – ودلالة وصف التربية بأنها إسلامية.

٣ – وتحديد أهدافها.

٤ – والتعريف بوسائلها.

٥ – والتنبيه على مصادرها ومراجعها.

٦ – وبيان ميادينها.

٧ – والإشارة إلى منهجها وطريقها فى تربية الناس.

نوضح ذلك بين يدى حديثنا عن التربية الروحية التى هى – كما قلنا– عن التربية الإسلامية.

والله المستعان .

١- مفهوم التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية مفهوم عام وآخر خاص يميزها عن التربية عند غير المسلمين.

* والمفهوم العام لها قد لا يختلف عن المفهوم العام لأى تربية إلا فى القليل.

وأما المفهوم الخاص لها فيختلف كثيرا عن مفهوم التربية عند غير المسلمين.

* فإذا كان المفهوم العام للتربية عند معظم الناس، الذى اختاره الباحثون فى الشرق والغرب هو : «النظام الاجتماعى الذى يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة وتنمية النشء من النواحى الجسمية والعقلية والأخلاقية، حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية فى البيئة التى يعيش فيها»[١].

* كما يتفق الباحثون على أن هذه التربية فى ذاتها «علم يبحث فى أهداف تنمية الفرد من النواحى البدنية والفكرية والخلقية والمناهج والوسائل التى تستخدم لتحقيق هذه الأهداف»[٢].

* وفى مجال علم الاجتماع يعتبرون التربية أدخل فى بحوثهم ودراساتهم منها فى أى علم آخر، فيقولون : علم الاجتماع التربوى علم يبحث فى النظم التربوية، وفى قوانين تطورها، وكيفية تأدية هذه النظم لوظائفها، وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية الأخرى.

* ويقول علماء الاجتماع فى المفهوم العام للتربية : إنها انتقال المعرفة من جيل إلى جيل، أو من أب لولده، أو من معلم إلى متعلم، ويضيفون : إن هذا الانتقال كلما تم بحرص وأمانة، فقد حققت التربية هدفها، وكلما كان

---

(١) د. أحمد زكي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ١٢٧٠ لبنان. د. ت.

(٢) السابق : ٣٠٨.

الناقل على مستوى الدقة والإخلاص وكان المتلقى عنه على هذا المستوى أيضا، كلما كانت التربية - من خلال هذه الوسائط فى صورتها الجيدة الهادئة.

ويختلف المفهوم العام للتربية الإسلامية عن ذلك بعض الاختلاف، فهى تضيف إلى وسائط التربية المسجد، وتعطيه أهمية قصوى وتكل إليه أنواعا من التربية قلما يحصل عليها المتلقى إلا فيه، هذا نوع اختلاف لأنهم هناك أهملوا دور العبادة كلها فلم يجعلوها من الوسائط التربوية.

ويمكن أن يختلف تعريف التربية الإسلامية عن تعريفهم فى المفهوم العام بإضافة أخرى هى أن التربية تستهدف فى الإسلام الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهم قد أهملوا الحديث عن الحياة الآخرة مطلقا.

وتتبين هذه الفروق ونحن نعرض تعريفا للتربية الإسلامية على النحو التالى :

هى النظام الاجتماعى الذى جاء به الإسلام ليتحدد من خلاله الأثر الفعال للأسرة بمفهومها الضيق الذى يشمل الأبوين والأقارب والأرحام ومفهومها الواسع الذى يدخل فيه الجيران والأصدقاء والمجتمع كله، وللمسجد وما يتركه فى نفوس المترددين عليه من آثار فى أرواحهم وعقولهم وأخلاقهم، وللمدرسة وما يتناوله مفهومها من معلم وكتاب ووسيلة ومبنى ومنهج، وما تفعله المدرسة فى نفوس النشء من النواحى الروحية «الإيمانية» والأخلاقية والعقلية والجسدية والاجتماعية لكى يعيش الإنسان سعيدا راضيا فى بيئته فى الحياة الدنيا ويعمرها بالخير والعمل الصالح، ولكى يحظى برضا الله سبحانه وثوابه فى حياته الأخرى الأبدية.

والتربية الإسلامية بهذا المفهوم تنتقل من جيل إلى جيل، ومن أب إلى ابن،

ومن معلم إلى متعلم، ومن آمر بالمعروف ناه عن المنكر إلى مأمور بالمعروف منهى عن المنكر.

ومن خلال هذا التحديد للمفهوم العام للتربية الإسلامية يتضح ما أشرنا إليه من فروق.

وأما المفهوم الخاص عند الغرب والشرق للتربية، فيعنى تلك العملية المتجهة من الكبار إلى الصغار بقصد تنشئتهم تنشئة حسنة حسب مراحل نموهم فى ظل المدرسة وما يحيط بها من معطيات.

وأما المفهوم الخاص للتربية الإسلامية فهو :

تلك العملية التعليمية التربوية المتجهة من الكبار إلى الصغار، بقصد تنشئتهم تنشئة حسنة، تحقق لهم إنسانيتهم التى كرمهم الله سبحانه بها، حسب مراحل نموهم، فى ظل مدرسة إسلامية فى معلميها وكتبها ووسائلها، ومنهجها ومبانيها ومعانيها، ليشبوا على الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر، وما يستوجبه هذا الإيمان من عمل صالح، وتقيد بمنهج الله تعالى فى العبادات والمعاملات والأخلاق، ليستطيعوا بذلك تحقيق سعادة المعاش والمعاد.

٢ - وصف التربية بأنها إسلامية

وصف أى عمل بأنه إسلامى يعنى أن هذا العمل قد أقرته العقيدة الإسلامية، وجاء موافقا للشريعة الإسلامية هدفا ووسيلة.

ومن هنا ندرك أن قول بعضهم «الفنون الإسلامية» يدل على غفلة عن هذا المعنى إذ فى الفنون ما لا تقره العقيدة الإسلامية ولا ترضاه الشريعة كغناء النساء للرجال ورقصهن، والأولى أن يقال : «الفنون عند المسلمين» لكى لا تضفى تسمية العمل بأنه إسلامى شرعية فى حين قد يكون هذا العمل ليس بمشروع.

- ووصف التربية بأنها إسلامية يعنى فى صورته المجملة تحييد هذه التربية عن سواها وتحديد أبعادها وأهدافها من خلال نظرة إسلامية دقيقة، أو وزنها بميزان الإسلام فى كل مفرداتها، ونستطيع أن نفصل هذا بعض التفصيل فيما يلى :

أ - أن تكون الأسس التى تقوم عليها التربية إسلامية، وهذه الأسس فى مجالنا هذا تعنى الثوابت لا المتغيرات منها، وهى العقائد والعبادات والأخلاق، فما لم تكن هذه الثوابت من الإسلام فلا يصح أن توصف التربية بأنها إسلامية.

* فالأساس الأول فى التربية لكى تكون إسلامية هو : العقيدة، والعقيدة فى الإسلام هى عقيدة التوحيد لله سبحانه وتعالى أى الإيمان به سبحانه إلها وربا وخالقا ورازقا، له أسماؤه وصفاته وأفعاله التى سمى بها نفسه أوصفها بها...

وهذه العقيدة التوحيدية تستدعى الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، وتوجب على العاقل البصير أن يدخل فى دين الإسلام وشريعة محمد ﷺ كما توجب المعرفة الصحيحة التى جاء بها الإسلام عن

الإنسان، وعن الشيطان، وعن عالم الغيب والشهادة، أى الآخرة والدنيا.

هذا هو الأساس الأول الذى يجب أن تقوم عليه التربية لتكون إسلامية.

* والأساس الثانى هو: العبادة الصحيحة لله تعالى وفق ماشرع فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذه العبادة تبدأ بالنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما:

« لا إله إلا الله » أى لا معبود سواه ولا خالق ولا رازق غيره. ولايجوز التلقى عن سواه فى أمور الدين والدنيا .

و« محمد رسول الله» أى أن شريعته واجبة الاتباع فى كل ما جاءت به أمرا أو نهيا .

– وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا، وفق ما لهذه العبادات من صفات وشروط ومواقيت .

– ويتسع مفهوم العبادة لله ليدخل فيه العدل والإحسان، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، ولتشتمل على كل قول أو فعل أمر الله به، ولتحول بين الإنسان، وبين كل قول أو عمل نهى الله عنه .

* والأساس الثالث هو: القيم الخلقية التى أقرها الإسلام وصنفها إلى:

فضائل دعا الناس إلى التمسك بها .

ورذائل نهى الناس عن ممارستها .

وتلتمس هذه الفضائل والرذائل فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة حيث الدعوة إلى التحلى بالفضائل، والتخلى عن الرذائل[1] .

(١) سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فى كتابنا التالى من هذه السلسلة وهو: «التربية الخلقية» إذا أذن الله تعالى .

ب- وأن تكون التربية- لكى توصف بأنها إسلامية- مستهدفة إعداد الإنسان وتعليمه للتعامل الصحيح المشروع مع الحياة الدنيا، ومفردات هذه الحياة الدنيا كثيرة أبرزها فيما نتصور مايلى:

- الإنسان نفسه : حيث يجب أن يكون تعامل الإنسان مع نفسه تعاملا إسلاميا، فيلزم نفسه بكل ما ألزم الله به، وينهاها عن كل مانهى الله عنه ويزكيها بالعبادات وفعل الخير والتقرب إلى الله بصالح الأعمال من النوافل بعد أداء الفرائض.

- والأقارب والأرحام: ابتداء من الوالدين والأبناء وامتدادا إلى كل من تربطه به صلة قرابة، فلكل واحد من هؤلاء تعامل أمر به الإسلام فى نصوصه الموثوقة وفي الكتاب والسنة.

- والجيران والأصدقاء: ولكل أسلوب فى التعامل أمر به الإسلام.

- وغير المسلمين: حيث أوضح الإسلام كيفية التعامل معهم، ونفى عن هذا التعامل أى ظلم يقع عليهم، وأى إكراه لهم على الدخول فى دين الإسلام.

* ولا توصف التربية بأنها إسلامية إلا إذا أعدت الإنسان هذا الإعداد الذى يمكنه من إحسان التعامل مع نفسه ومع مايحيط به من ناس وأشياء .

وليست هذه الصورة التى تعد التربية الإسلامية الإنسان بها خيالية أو صعبة التحقيق والممارسة، لأن الله تعالى لايكلف نفسا إلا وسعها، وما جعل علينا فى الدين من حرج، فهو إعداد يكفل للناس أن يعيشوا فى أمن وسعادة وتعاون على البر والتقوى بحيث يمارسون الحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى للإنسان الذى كرمه وفضله على كثير ممن خلق.

جـ- ووصف التربية بأنها إسلامية يستدعى أن تكون لهذه التربية قدرة على التعامل مع المستجدات والمتغيرات، أى تلك المرونة والأفق الواسع والنظرة الشاملة العميقة لكل مايطرأ على الحياة الإنسانية من متغيرات.

- هذه القدرة على التعامل مع هذه المستجدات تعنى النظرة فى هذه المستجدات لقبول مالايتعارض مع منهج الإسلام فى شىء ورفض مايتعارض فى أى مجال من مجالات الحياة، فكريا، أو ثقافيا، أو علميا، أو سياسيا، أو اقتصاديا، أو اجتماعيا، وذلك أن الإسلام له نظام لكل مجال من هذه المجالات، نظام يجعل الحياة الإنسانية على أفضل مستوى يحقق للإنسان كل مطالبه المشروعة.

- فالتربية إذا لم تستطع أن تتعامل مع هذه المستجدات فلا يصح أن توصف بأنها إسلامية.

- ولابد من غض النظر عن مصدر هذا المستجد، وعن الدواعى التى أدت إليه، لأن علم الإنسانية كلها ملك لكل بنى الإنسان إذ هو منحة من الله للإنسان.

د - ووصف التربية بأنها إسلامية، يستوجب أن تفتح الباب على مصراعيه للعقل البشرى يبدع كما يشاء، ويكون له حضور فى كل عمل وكل أمل، العمل الذى يمارسه المسلم فى مجالى الفعل والترك، والأمل الذى يطمح إليه فى الحياة.

- إن التربية لاتكون إسلامية مالم تعط للعقل حق الفكر وحق العلم وحق الإبداع فى كل مجالات الحياة، مادام لم يصطدم فى ذلك مع قاعدة شرعية، وما هو بمصطدم أبدا طالما يفكر تفكيرا صحيحا، فإن من المسلمات أن العقل لايصطدم مع الشرع.

- والإسلام لايقبل الحجر على العقل ولاتقييده بتلك القيود التى قيدته بها البشرية فى عصورها المختلفة، بل القيود التى فرضتها بعض الأديان قبل ظهور الدين الخاتم.

- ومن الحقائق المقررة فى الإسلام، ماقرره علماء أصول الفقه فى مجال عمل العقل وتوافقه أوتعارضه مع الشرع، حيث قالوا: «إذا حدث تعارض بين العقل والشرع أخذ بما استند منهما إلى دليل قطعى، فإن كان الدليلان ظنّيين أخذنا بدليل الشرع فهو أولى بالاتباع، حتى يثبت الدليل العقلى أو ينهار» .

وتلك صورة من صور حرية العقل التى أتاحها الإسلام للإنسان تكريما له، وللعقل الذى هو منحة من الله تعالى، بل نعمة كبرى ميزت الإنسان عن كثير من مخلوقات الله تعالى غير العاقلة أو غير المكلفة[1] .

هـ- ووصف التربية بإنها إسلامية، يحتم عليها وعلى مناهجها أن تضع فى حسبانها أن الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى وأعظمها حرمة عنده، حتى لقد ثبت فى السنة النبوية أن المسلم أعظم حرمة عند الله تعالى من الكعبة المشرفة.

- ومعنى ذلك أن التربية لكى تكون إسلامية يجب أن تقدر الإنسان حق قدره وأن تكفل له سائر حقوقه وحرياته، وأن تعينه على أداء واجباته، وذلك يتطلب أن يكون منهج التربية الإسلامية من حيث المعلم والكتاب والوسيلة والخطة قادرا على تحقيق احترام الإنسان واحترام حقوقه كلها.

- ومن الحقائق المسلم بها فى الإسلام أنه حرم الظلم،- وانتقاص الحقوق ظلم- تحريما مطلقا، حتى لو كان من يقع عليه أدنى ظلم مخالفا للإسلام فى عقيدته، تلك مسلمات فى الإسلام لاتغيب إلا عن غافل بأحكام الشريعة، أو راغب فى تشويه الإسلام وقيمه ونظامه.

وهذه الحقيقة نابعة من صميم الدعوة الإسلامية، لأن الناس أمام الدعوة نوعـــان:

---

(١) سنفصل الكلام فى ذلك فى كتاب «التربية العقلية» بإذن الله تعالى .

أمة الإجابة وهم المسلمون .

وأمة الدعوة وهم غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين وعبدة الأوثان وعبدة غير الله تعالى، وهؤلاء يجب أن توجه إليهم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن، وكيف يكون ذلك مع انتقاص شىء من حقوقهم فضلا عن إيقاع أى ظلم بهم؟

– ووصف التربية بإنها إسلامية يستوجب أن تحسن التعامل مع الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها، فلا تكلفها مالا تطيق ولاتتركها دون تكاليف– لأن منهج الله تكاليف– وبين هذين الحدّين تعمل التربية الإسلامية، وهى تربى الإنسان وتوازن بين طاقاته الروحية والعقلية والبدنية، بحيث لا تطغى حاجات طاقة على حاجات غيرها، وبحيث تعبر كل طاقة عن نفسها فى شرعية رسمها الإسلام، وبحيث لاتكبت طاقة أو يحال بينها وبين التعبير عن نفسها.

– إنها تربية التوازن والانسجام بين طاقات الإنسان، التوازن الذى يحقق للإنسان تجاوبا مع الحياة الإنسانية الكريمة، فلا تسحق روحه لصالح بدنه، ولايسحق بدنه لصالح روحه، ولا يفتن بعقله فيجمح به فى الأوهام والترهات.

– إنها التربية التى تزن الإنسان بميزانه الصحيح، وتعطيه الحق كل الحق فى التعبير عن رغباته كلها، فى إطار ما أحل الله وتهذب له هذه الرغبات وتكبح جماحها إذا اتجهت إلى ماحرم الله تعالى.

وبعد:

فهذا مايعنيه وصف التربية بأنها إسلامية، وليس من الصواب ولا من الإنصاف أن توصف التربية بأنها إسلامية وهى خالية من هذه النقاط التى ذكرناها.

٣- أهداف التربية الإسلامية

أهداف التربية الإسلامية كثيرة: إذ هى تتناول كل جانب من جوانب حياة الإنسان تقيمه على جادة الحق وتهديه إلى الصراط المستقيم صراط الله، وتحول بينه وبين اتباع سبل أخرى تضله وتشقيه، وتورثه خسران الدنيا والآخرة.

- وهذه الأهداف لكثرتها وأهميتها جديرة بكتاب مستقل، ربما أتيح لنا أن نعده يوما إذا أذن الله ، غير أننى أكتفى بجملة من الأهداف أشير إليها فى صورتها المجملة دون تفصيل، وتلك الأهداف على وجه الإجمال هى:

أولا : تكوين العقيدة الصحيحة للإنسان :

التربية الإسلامية بمختلف مبادئها ومؤسساتها، والقائمين عليها فى البيت والمسجد والمدرسة والنادى والمجتمع، يجب أن تعمل على تكوين العقيدة الصحيحة فى الإنسان.

- عقيدته فى الله تعالى، ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.
- وعقيدته فى ملائكته وكتبه ورسله عليهم السلام.
- وعقيدته فى اليوم الآخر ومافيه.
- وعقيدته فى قضاء الله وقدره.
- وعقيدته فى الإنسان نفسه لماذا خلقه الله، وبماذا يجب أن يؤمن وإلى أين يصير.
- وعقيدته فى قوى الشر «الشياطين» وموقفهم من الإنسان .
- وعقيدته فى هذا الكون الذى يعيش فيه، ومايعج به هذا الكون من مخلوقات.

وذلك أن التصور الصحيح والاعتقاد السليم فى هذه المفردات السبعة التى ذكرناها هو الذى يوفر للإنسان حياة إنسانية كريمة ترضيه وترضى الله تعالى عنه.

ثانيا : تعليم العبادة الصحيحة :

يجب أن تعمل التربية الإسلامية بكل مؤسساتها والقائمين عليها على تعليم الإنسان عبادة الله وحده، وتدريبه على ممارستها كما شرعها سبحانه وتعالى، فرائض كانت أو نوافل، ومستمرة كانت هذه العبادات أو موقوتة بزمان أو مكان.

– وتعليم هذه العبادات يجب أن يكون نابعا من الأصول الموثقة للإسلام والنصوص الصحيحة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– ولايتم ذلك على وجهه إلا بتحقيق الإيمان والإسلام والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله، تحقيق ذلك عمليا فى الحياة بعد استيعابه نظريا وعلميا.

– وكل مؤسسات التربية الإسلامية التى أشرنا إليها آنفا مطالبة بأن تفسر ذلك للمسلمين وتدربهم عليه وتمد لهم فيه يد العون والمساعدة.

ثالثا : بث روح التعارف بين الناس :

والتعارف مطلب قرآنى أكد أن الناس جميعا من أصل واحد، وأن الله تبارك وتعالى جعلهم أمما عديدة، وإمكانات كثيرة، ليتعارف بعضهم على بعض، فيحب بعضم بعضا، ويعاون بعضم بعضا، فقال سبحانه وتعالى: **﴿يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عن الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** [1] .

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣.

- وهذا التعارف يعنى أن يعرف الناس بعضهم بعضا، فإذا كان ذلك أحب بعضهم بعضا، ومن أدبيات الدعوة إلى الله فى التعارف وكسر حاجز نفور الناس بعضهم من بعض: أن يقدم الإنسان نفسه إلى من يريد التعارف، فيقدم الآخر نفسه، وكل معلومة يذكرها المتعارف عن نفسه سوف يذكر المتعارف عليه نظيرا لها وهو يقدم نفسه، فيزول الحاجز ويألف الإنسان أخاه، وأفضل مايكون التعارف في المساجد عند الخروج منها، لأن القادم إلى المسجد قد قطع شوطا كبيرا فى طريق الإسلام، فأصبح أكثر رغبة فى التعارف على أمثاله من المترددين على المسجد.

ومايتم هذا التعارف إلا وقد أصبح كل من الطرفين كالكتاب المفتوح للطرف الآخر فيكون حب فى الله وأخوة فيه وتواص بالحق وتواص بالصبر.

رابعا : نشر روح التعاون بين الناس :

التربية الإسلامية تستهدف التعاون بين الناس، لأن التعاون أحد مظاهر التفاعل الاجتماعى، وهو تعبير مشترك بين شخصين أو أكثر لتحقيق عمل بعينه.

- وقد دعا الإسلام إلى التعاون وقيده بأن يكون على البر والتقوى فقال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله﴾**[1] .

والبر هو : ما أمر الله به.

والتقوى : هى اجتناب مانهى الله .

والإثم : المعاصى كلها .

(١) سورة المائدة الآية : ٢.

والعدوان : التعدي على حدود الله أو حقوق الناس.

وهذا هو التعاون الذى تغرسه التربية الإسلامية فى نفوس الناس، وترفض ما سواه من التعاون على أى شر أو باطل.

– ومن التعاون على البر والتقوى التعاون على دفع مايضر واتقائه، سواء أكان الضرر فى الدين أم فى الدنيا، ولولا هذا التعاون على اتقاء الشر، ماسُدّ باب فتحه أعداء الإسلام والمسلمين، ولازالت عقبة من العقبات الكثيرة المبثوثة فى الطريق.

– والتعاون واجب على مستوى الأفراد والبيوت والجماعات والجمعيات والمجتمع كله، وهو أوجب على مستوى العمل من أجل الإسلام فى أى مجال من مجالات العمل.

خامسا - العمل على إعمار الأرض :

التربية الإسلامية تستهدف تعليم الناس كيف يعمرون الأرض كما طالبهم بذلك الإسلام، فالمفروض أن تعد التربية الإنسان لتسخير قوى الكون الذى يحيط به فيما يعود عليه بالخير فى الدنيا والآخرة.

– وكل علم أو معرفة أو فن يؤدى إلى تمكين الإنسان من إعمار الأرض التى سخرها الله له هو من صميم العلوم والفنون التى جاءت بها شريعة الإسلام، يقول الإمام ابن تيمية فى تلك العلوم والصناعات ووجوب تعلمها: «وتعلم هذه الصناعات هو من الأعمال الصالحة لمن يبتغى بذلك وجه الله تعالى، فمن علم غيره ذلك ،كان شريكه فى كل جهاد يجاهد به، لاينقص أحدهما من الأجر شيئا، كالذى يقرأ القرآن ويعلم العلم»[1] .

---

(١) الإمام ابن تيمية: مجموعة الفتاوى: ١٣/٢٨ طـ السعودية .

– والتربية الإسلامية تعلم فى كل ميادينها وبكل مؤسساتها إن الإنسان مستخلف في هذه الأرض، ومطالب بأن يمشى فيها ويعمرها ويفيد منها، فلقد مَنّ الله تعالى على ثمود قوم صالح عليه السلام بأنه خلقهم من الأرض ومكنهم من عمارتها واستثمار مافيها والانتفاع بخيرها، وهى منة عظيمة قال الله تعالى: **﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾**[1] .

– وإنما يعمر المسلمون الأرض إذا استهدوا فى إعمارهم هذا بالعلم أو بالفن أو بالصناعة، بما جاء به محمد ﷺ، فقد علمنا ﷺ أن نأخذ بالأسباب وأن نعمل للدنيا كما نعمل للآخرة، وقال الله تعالى يعلمنا الأخذ بالأسباب: **﴿وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ﴾**[2] .

– إن المسلم يجب أن يحسن إعمار الأرض ليعيش فيها الحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها له الله تعالى:

– إن تعليم الإنسان إعمار الأرض هو التربية العملية التى تخرج النظرية إلى مجال التطبيق، وتلك فاعلية وإيجابية فى التعلم يحرص عليها الإسلام باعتباره رسالة حضارية يجب أن تحملها الأمة الإسلامية إلى العالم كله، ولن تستطيع ذلك إلا بالإيمان والخلق وإعمار الأرض والاجتهاد فى تسخير مافيها لصالح الإنسان.

هذا هدف من أهداف التربية الإسلامية التى تغفل عنها اليوم مؤسسات تعليمية كثيرة فى بلاد المسلمين، فيخسرون بهذه الغفلة تحقيق هذا الهدف الكبير.

---

(١) سورة الحجرات هود : ٦١.
(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .

إننا ينبغى أن نربى المسلمين صغارا وكبارا على إعمار وإصلاح كل مكان يعيشون فيه.

سادسا : تعليم الإنسان كيف يكون ملتزما :

الإنسان الملتزم يعرف واجبه ويلزم نفسه بأدائه، وهذا الواجب ليس موضوعا لأن يجتهد الإنسان فيه، وإنما الواجب هو ما أوجبه الله تعالى فى كتابه الكريم أو سنة رسوله ﷺ، وما أوجب الله على الإنسان شيئا إلا كان فى القيام به صالح دينه ودنياه .

- وفى الالتزام بما أوجب الله إصلاح للنفس وتزكية لها وتقرب إلى الله تعالى ونجاح وفلاح فى الدنيا والآخرة، وما لم تستهدف التربية الإسلامية ذلك فقد أخطأ القائمون عليها فى البيت أو المسجد أو المدرسة أو المجتمع، أو قصروا لو أحسنا بهم الظن.

- والالتزام بمنهج الله فى الأمر والنهى فيه صلاح للبيت والمجتمع والأمة المسلمة كلها، ،وفيه حسم للجريمة، ومنع للفساد، وحصار للمفسدين، وإعلاء للقيم الخلقية الفاضلة واحتمال لسواها من القيم الهابطة، ومؤسسات التعليم المدرسى أو التعليم المستمر يجب أن تضع ذلك فى برامجها، وأن تجعله هدفها، فتلك ثمرة التربية الإسلامية التى لا يمارى أحد فى فائدتها للفرد والمجتمع والأمة المسلمة.

- والالتزام بما أمر الله به واجتناب مانهى عنه يدرب المسلم على فعل الخير، وعلى البذل والعطاء، وعلى التضحية والجهاد، ويطرد من قلبه النقائص والرذائل ويحول بينه وبين الانحراف عن الصواب.

- والالتزام بما أوجب يشيع فى الناس حب الناس وحب الخير لهم فى

الدنيا والآخرة، ويطبع المجتمع بطابع الاستقامة والطاعة، وكل ذلك ضرورى فى الحياة الاجتماعية الراشدة .

– والالتزام يغرى غير المسلمين بالإقبال على الدخول فى هذا الدين والاستجابة لواجباته، وهذا من شأنه أن يزيد عدد المسلمين ويزيد من استمساكهم بالدين، وسوف تظل قضية العمل على زيادة عدد المسلمين الشغل الشاغل للأمة الإسلامية اقتداء بهدى الرسول ﷺ، فقد روى النسائى بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ : «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم»** وروى البيهقى فى سننه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ : «تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم، ولاتكونوا كرهبانية النصارى»**.

إن زيادة عدد المسلمين زيادة فى عدد المؤمنين الموجودين، وهى مصدر خير وبركة وسبب جوهرى فى التقدم والتحضر والرقى، مهما قال بعض الناس ومهما زعموا أن تلك الزيادة استهلاك لموارد العالم المحدودة !!

إنها مقولات غير المؤمنين، لأن خالق هذا الكون وتلك الأرض التى نعيش عليها قد تكفل بأرزاق الناس فقال عن هذه الأرض : **﴿وجعل فيها رواسى من فوقها، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها ﴾** [1] .

إن المشكلة الحقيقية فى قلة السكان لافى كثرتهم، والمشكلة الكبرى فى أن يهمل هؤلاء الناس فلا يربون تربية تجعلهم ملتزمين بما أوجب الله تعالى عليهم، فإذا فقدوا هذا الالتزام كان الكسل والتراخى وترك السعى فى الأرض، وكان الفقر وكان الاحتياج!!

---

(١) سورة فصلت الآية : ١٠.

إنها مسلمات تعرفها الدول الصناعية الكبرى، وهى من مغالطات الغرب الذى يخشى كثرة عدد السكان فى دول العالم الثالث، ويعمل فى الوقت نفسه على زيادة عدد سكانه!!

إن التزام الأفراد بما أمر الله وبما نهى لايجعل فى الحياة شيئا اسمه مشكلة زيادة السكان.

إن خبراء الغرب يقولون: إن كل غربى سوف يواجه بستة أفراد من المسلمين فى خلال عقدين من الزمان ولو استمر الأمر على ماهو عليه، فلابد من مواجهة هذا الكم الكبير!!

وكيف يشكو الإنسان من زيادة عدد الناس وهم أهم أسباب الإنتاج والرخاء!!

وكيف يصبح الإنسان عبئا على الحياة، وما خلقت هذه الحياة إلا له؟ كيف يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وسخر لكم مافى السماوات وما فى الأرض جميعا منه، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[1] .

إذا التزم الإنسان بمنهج الله وعمل صالحا وسعى فى الأرض وسخرها لصالح دينه ودنياه، فلن تضيق به بحال.

سابعا - تعليم الإنسان كيف يبنى بيتا مسلما :

التربية الإسلامية يجب أن تعلم الإنسان كيف ينشئ بيتا مسلما، تسوده القيم الإسلامية، ويلتزم أفراده بأخلاق الإسلام وآدابه ويسهمون فى المجتمع الذى

---

(١) سورة الجاثية الآية : ١٢- ١٣.

يعيشون بما يستطيعون من عمل صالح وخير عام.

– إن التربية التى لاتعلم الإنسان كيف يسهم فى بناء مجتمعه تربية فاشلة بل فاسدة بل غير إنسانية، فضلا عن أن تكون إسلامية .

– والتربية الإسلامية تعلم الإنسان كيف يختار الزوجة وربة البيت وأم الأولاد، وفق معايير الإسلام فى هذا الاختيار، وكيف يتعامل مع زوجه من منطلق الحقوق والواجبات ؟

– والتربية الإسلامية تعلم الإنسان كيف يربى أبناءه تربية صحيحة، وكيف يقود هذا البيت الصغير حتى يكبر ويسهم فى بناء المجتمع والحضارة الإنسانية كلها.

– والتربية الإسلامية هى التى تعلم الإنسان كيف يتعامل مع أقاربه وأرحامه وأصدقائه وجيرانه، تعاملا إسلاميا يقوم على البر والتقوى، إن البيت المسلم إذا قاده ربه قيادة صحيحة، كان لبنة قوية فى مجتمع إنسانى إسلامى قادر على الحياة الإنسانية الكريمة.

– ذاك هدف رئيسى من أهداف التربية الإسلامية يتعلم فى البيت وفى المسجد وفى المدرسة وفى المجتمع.

ثامنا - تكوين الإنسان الاجتماعى :

الإنسان الاجتماعى هو الإنسان الذى يقيم وزنا صحيحا ملتزما لكل علاقة تربطه بإنسان آخر فى البيت أو فى المجتمع .

وإذا كان الفكر غير الإسلامى فى الغرب أو فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى يقوم على تناقض بين الأسرة والمجتمع، من جهة أن الأسرة تقوم العلاقات فيها على الحب والولاء، وأن المجتمع تقوم فيه العلاقات على المصلحة

والعقل، وأنه كلما تقدم المجتمع تأخرت الأسرة!!

ويؤكد هذا التناقض بين الأسرة والمجتمع ماقاله «إنجلز وماركس» من دهاقين الفكر الشيوعى أو الاشتراكى، كما تؤكده «سيمون دى بوڤوار» الكاتبة الفرنسية المعروفة، وتلخص «سيمون» الموقف المتناقض كله فى كلمات وجيزة حيث تقول: «ستظل المرأة مستعبدة حتى يتم القضاء على خرافة الأسرة وخرافة الأمومة، والغريزة الأبوية»[1] .

- وإن التربية الإسلامية تقوم على النقيض من ذلك الفكر، حيث تجعل الأسرة ومايحيط بها من حب، وولاء هى المحضن الذى يتربى فيه الإنسان الاجتماعى الذى يحرص على أن تكون له علاقة حسنة بكل أفراد المجتمع، وهذه العلاقة الحسنة تعلمها من الأسرة التى تعلمتها بدورها من منهج الإسلام فى الأمر والنهى والحلال والحرام.

- إن التربية الإسلامية يجب أن تزود الإنسان بمعرفة كل الوسائل التى تمكنه من الإسهام فى بناء مجتمع راشد قادر على تطوير الحياة الإنسانية إلى الأحسن والأرضى لله تعالى.

- والمعالم التى تميز هذا المجتمع المسلم كثيرة، نذكر منها مايلى:

* الإيمان بالله على نحو ما أوضحنا ذلك آنفا .

* والالتزام بالإسلام عباداته وأحكامه وأخلاقه .

* والاهتمام اللازم لبناء أسرة مسلمة، تسودها القيم الإسلامية فى التعامل والطعام والشراب والملبس والمسكن ومحتويات البيت، ومن يترددون عليه من أقارب وأصدقاء وجيران.

---

(١) نشر هذا الكلام عنها فى أكثر من مجلة منها مجلة :
New York Magazine Saturday Review.

* والعمل بنشاط وفاعلية فى بث القيم الإسلامية فى المجتمع، ومحاربة الرذائل ومقاومة أصحابها مقاومة تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

* والعمل على إرضاء الله تبارك وتعالى فى كل قول أو عمل يمارسه الإنسان فى المجتمع.

- إن الإنسان الاجتماعى فى الفكر الإسلامى هو ذلك الإنسان المؤمن الملتزم بمنهج الله، الذى يحب الخير ويحب الناس، ويحب لهم الخير ويتعاون معهم على البر والتقوى.

وهذا الإنسان لن يأتى من فراغ، وإنما تعمل التربية الإسلامية على إعداده وتكوينه وتجعله من بين أهدافها الكبرى.

تاسعا - تكوين الإنسان المنتمى عربيا :

مايمارى فى ارتباط الإسلام بالعرب والعربية أحد، وبحسب هذا الارتباط قوة أن الله تبارك وتعالى اختار لختم أنبيائه ورسله نبيا ورسولا من العرب، وأنه سبحانه جعل آخر كتبه وأتمها وأكملها القرآن الكريم بلسان عربى مبين، فالعرب والعربية فى خدمة الإسلام ونشره بين الناس، وليست العربية بديلا عنه أو موازية له أبدا، ودعاة القومية العربية إن وظفوها لصالح الإسلام فأهلا بهم وسهلا، وحبا وكرامة.

- والتربية الإسلامية يجب أن تدعم هذه المعانى وتزكيها وتعمل على غرسها فى نفوس من تربيهم فى مؤسساتها العديدة: البيت والمسجد والمدرسة والنادى والمجتمع، وما لم تفعل فهى مجرد تربية وليست تربية إسلامية.

- والانتماء إلى العرب والعربية- فيما يخص أبناء الوطن العربى جغرافيا- له

أهداف تمثل أعباء على المسلم العربى، نذكر منها مايلى:

* العمل على التمسك باللغة العربية لغة القرآن واستعمالها الفصيح فى التخاطب والتعامل، فضلا عن الكتابة والتأليف، ومؤدى ذلك طرح الدعوة إلى العامية أو العاميات العربية التى أوشكت أن تكون رطانة أعاجم لكثرة ما اختلطت بلغات غير عربية، حتى إن العربى الذى يعيش فى قطر بعينه يصعب عليه فهم لغة التخاطب العامية فى قطر آخر، وانظر فى ذلك عامية المغرب العربى وقارنها بعامية دول الخليج، وعامية مصر وقارنها بعامية الشام، والعراق، وعامية اليمن والسودان والصومال، ونحوها.

ومن المسلم به أن اللغة وعاء الفكر، فإذا اضطربت اللغة اضطرب الفكر وإذا استقرت صلح وازداد عمقا، وأى مستوى لغوى أعلى أو أرقى أو أثبت من الفصحى لغة القرآن الكريم؟

* والعمل على الاهتمام بالثقافة العربية وإعطائها الأولوية والاهتمام بتراثها والعمل على نشره وإذاعته فى الناس، وبخاصة أن معظم ماكتب عن الإسلام كتب بلغة عربية، لكن ذلك لايعنى إهمال الثقافات الأخرى، وإنما نقول: الأولوية للثقافة العربية من أجل المحافظة على الشخصية العربية والانتماء العربى.

* وجعل العربية الفصحى لغة التدريس فى المدارس والجامعات بحيث يلزم كل مدرس وكل أستاذ باللغة الفصحى مهما كان المقرر الدراسى الذى يتولى تدريسه، لأن الفصحى تتسع لذلك ولما هو أكثر منه، ولا يشك فى غناها وغنائها إلا جاهل بها، إن هذا يفرز الانتماء إلى العرب والعربية.

* والعمل على تحرير العالم العربى من كل تبعية تضر بقوميته الموظفة

لخدمة الإسلام، سواء أكانت هذه التبعية منظورة كسيادة لغة أجنبية وثقافة أجنبية على قطر من أقطار العالم العربى- كما هو مشاهد الآن- أو كانت تبعية غير منظورة الآن ولكنها ذات أخطار كبيرة فى المستقبل كالمدارس الأجنبية المتناثرة فى العالم العربى فإنها بقصد أو بغير قصد تقتل الانتماء العربى، بل تفرز فى نفوس كثير من المتعلمين فيها ازدراء للعرب والعربية، كما شوهد ذلك كثيرا لدى عديد ممن تعلموا فى هذه المدارس والجامعات!!

– ومالم يحدث هذا الانتماء العربى، ومالم تتحقق أهدافه فسوف يظل العالم العربى يعانى من التمزق والضياع وفقد الهوية. وتقسيمه إلى عالم خليجى وآخر مغاربى وثالث تعاونى!! وعند النظر فى بواطن الأمور دون شكلياتها فإن هذا التقسيم ينطوى على مثالب عديدة:

* منها أن مصالح هذه الكيانات لها أولوية عن مصالح العالم العربى كله!

* ومنها الاعتراف الضمنى بتباين الثقافة بين أجزاء العالم العربى وذلك مايحرص على تأكيده أعداء الأمة العربية منذ زمن غير قريب.

* ومنها تفتيت الوحدة الاقتصادية والسياسية التى تؤمل فى العالم العربى: بخلق هذه الكيانات الإقليمية التى ما أشك أبدا- بحكم السن والتجربة- أن التفكير فيها جاء نتيجة لنصيحة من صديق أو مستشار أو وصى غير عربى.

ومن عجب أن هذه الكيانات قد شقت الصف العربى ثم لم تستطع هى أن تضم صفوفها بل اختلفت وتباينت مصالحها، بل حارب بعضها بعضا، وما أظن ذلك إلا نتيجة لهذا الناصح الذى يكن العداوة للعرب والمسلمين، ومن كان فى شك من قولى هذا فليتذكر مايلى:

* من الذى وسوس لصدام بحرب إيران ؟

* ومن الذى زين له حرب بل غزو الكويت ؟

* ومن الذى أوحى بمشكلة الصحراء الكبرى فى المغرب ؟

* ومن الذى زين لتعميق الخلاف بين مصر والسودان ؟

* ومن الذى وسوس بفتنة اليمن ومحاولة عزل جنوبيها عن شماليها؟

* ومن الذى أغرى ليبيا بهذا الوضع الفريد ؟

* ومن الذى أرث الحرب الأهلية فى لبنان ؟

* ومن الذى أغرى فلسطين والأردن فى حرب أيلول الأسود ؟

* ومن الذى وراء قصة الجزر الثلاثة أبى موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى؟

* ومن الذى جعل العداء تقليديا بين العراق وسوريا ؟

* ومن الذى كان وراء ضياع فلسطين وانهزام سبع جيوش عربية أمام إسرائيل؟

* ومن الذى وراء تحجيم أثر الجامعة العربية؟ وهل هى جامعة للعرب فعلا؟ وما القضايا التى أسهمت فى حلها بين أى دولتين عربيتين متنازعتين؟ وهل يعد ميثاقها ميثاقا يؤدى إلى وحدة الصف والكلمة؟ ولماذا لم يكن كذلك؟.

– إن التربية الإسلامية وهى تربى الإنسان العربى المسلم تستهدف أن تتلافى بتلك التربية كل هذه العيوب والسلبيات، لأنها تنظر إلى مفهوم العرب والعربية نظرة صحيحة صائبة، وتوظفها لصالح الوطن الإسلامى الكبير، العالم الإسلامى الذى يضم العرب وغيرهم من المسلمين، لافضل لعربى منهم على غيره إلا بالتقوى.

عاشرا - تكوين الإنسان المنتمى إسلاميا :

الانتماء إلى الإسلام هدف رئيسى للتربية الإسلامية. وهو انتماء ضرورى لتكامل شخصية المسلم القادر على التفاعل مع الناس والأحداث، وعلى الرؤية الصحيحة لما يحيط به من منظور إسلامى يقوم على فقه الكتاب والسنة.

ولابد من أجل أن يكون هذا الانتماء صحيحا وفاعلا ومحققا للهدف من خطوات أساسية فيه نذكر منها مايلى:

– لايجوز أن يكون هذا الانتماء مجرد شعار، وإنما يشترط أن يكون سلوكا وعملا، نابعا من القيم الخلقية الإسلامية، والشعار قد يكون كلاما وادعاء، وقد يكون شارة وزيا، وقد يكون أسلوبا فى تناول الحياة كما كان يفعل السلف رحمهم الله زيا ومسكنا ومطعما ومشربا، وهذا كله إذا خلا من روح الانتماء ومن الفقه الصحيح لسلوك المسلم فى الحياة فلا وزن له ولا قيمة، ولا هو انتماء على وجه الحقيقة.

– ولايجوز أن يكون الانتماء للإسلام حاملا لتعصب قبلى أو إقليمى أو طائفى، لأن الإسلام لايقر هذه التعصبات بل حاربها، ومَنَّ على المسلمين بأنه سبحانه وتعالى وحد أصل الإنسان فجعله من آدم وحواء ثم نوع الشعوب والقبائل ليتعارف الناس ويتعاونوا ويشد بعضهم أزر بعض، ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر.

– ويتطلب الانتماء إلى الإسلام معرفة جيدة بالأساسيات التالية:

* معرفة ومعايشة وقراءة مستمرة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة .

* ودراسة متأنية لتاريخ الإسلام وبخاصة تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم.

* وتعرف على تاريخ الحروب بين المسلمين وأعدائهم لأخذ العظة.

* ومعرفة بواقع العالم الإسلامى جغرافيا وسكانيا وظروفا اقتصادية وسياسية وثقافية.

* ومعرفة للأقليات المسلمة ظروفها ومايحتاج إليه.

* ومعرفة بالتيارات الموالية للإسلام والتيارات المعادية له.

* وتعرفا دقيقا على مايمكن أن يقدمه هذا المنتمى للعالم الإسلامى الذى يعيش فيه.

- والاهتمام بقضايا العالم الإسلامى التى من أبرزها مانشير إلى بعضه فيما يلى:

* قضية المرأة وما يحيط بها من أقاويل وأكاذيب تنسب إلى الإسلام فيما يتصل بالمرأة.

* وقضية السكان والزيادة السكانية التى ترعب الغرب وتجعله يشجع النسل فى بلاده «ألمانيا وفرنسا والسويد» ويعمل على تقليله فى العالم الإسلامى وفى العالم النامى بصفة عامة.

* وقضية الحقوق السياسية المهضومة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

* وقضية الانقلابات العسكرية ومدى الأضرار والأخطار التى يخلفها الحكم العسكرى فى أى بلد يستولى فيها على السلطة.

* قضية الموارد الاقتصادية فى العالم، ومن صاحب المصلحة الحقيقية فيها؟

* وقضية الزراعة واستصلاح الأراضى.

* وقضية الصناعة والتعدين.

* وقضية التجارة والاستيراد والتصدير والأسواق.

* وقضية النفط .

* وقضية التعليم .

* وقضية الإعلام، وغيرها من القضايا .

– إن المسلم المنتمى هو الذى يعيش هموم أمته وقضاياها ويسأل نفسه دائما قائلا: ماذا أستطيع أن أقدم من أجل أمتى المسلمة؟.

– والعمل بكل مافى الوسع على تحرير أى بلد مسلم من أى عدو يحتل أرضها أو يسيطر عليها.

– والعمل الجاد على توحيد هذا العالم الإسلامى أو جمع شمله فى الاقتصاد والسياسة والثقافة الإسلامية، على اعتبار أن مستقبل العالم الإسلامى هو الاتحاد ثم الوحدة، حيث لا وجود فى عالمنا المعاصر للكيانات الصغيرة ولا للدويلات كما هو واضح ومعروف.

– إن التربية الإسلامية كفيلة بأن تولد فى المسلم هذا الانتماء ومالم تفعل فليست بإسلامية، ولايجوز أن توصف بذلك.

وإن الإنسان إذا شب على هذا الفقه فهو المسلم المنتمى إلى الإسلام بعمله وسلوكه لا بمجرد الشعارات.

حادى عشر- تكوين المسلم الداعى إلى الله:

الأصل فى كل مسلم ومسلمة أن يكون داعيا إلى الله، ينشر بهذه الدعوة الخير فى الناس، ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم، بحيث يكون على بصيرة بما يدعو إليه، وليست الدعوة إلى الله واجب العلماء المتخصصين وحدهم، كما يردد ذلك بعض المغرضين.

– ومن أهداف التربية الإسلامية أن تكوّن المسلم الداعى إلى الله، وأن تؤهله لذلك بكل مايحتاج إليه، وتفصيل هذا التأهيل يلتمس فى مظانّه من كتب الدعوة إلى الله [1] ولكنا نشير هنا إلى خطوط رئيسية فى هذا المجال منها:

* ثقافة عامة جيدة .

* وثقافة إسلامية متخصصة .

* ومعرفة بفقه الدعوة إلى الله، مفهومها وأسبابها وأركانها وأهدافها وأساليبها ووسائلها ونتائجها ومراحلها.

* ومعرفة بفقه الداعى إلى الله، ووظيفته وصفاته الفطرية ،والمكتسبة، وإعداده نفسيا وخلقيا وثقافيا، وفنيا وعمليا عن طريق التدريب.

* ومعرفة بفقه المدعوين، وأصنافهم وسمات كل صنف منهم، وواجبات الدعاة نحوهم، واختيار أنسب الأساليب والوسائل للتعامل معهم.

– وإلمام بتاريخ الحركات الإصلاحية الإسلامية فى تاريخ المسلمين وفى العالم المعاصر، وهذا يقتضى أعمالاً على جانب كبير من الأهمية، نذكر منها مايلى:

* دراسة هذه الحركات فى أقطارها ومعرفة أسباب نجاحها أو فشلها لأخذ العظة والعبرة.

* والتعاون مع هذه الحركات الإسلامية مادام التعاون متاحا ومساعدا على

---

(١) للمؤلف فى هذا المجال الكتب التالية :
– فقه الدعوة إلى الله (جزءان) نشر دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
– فقه الدعوة الفردية، نشر دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
– المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله نشر دار الوفاء ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
– فقه الأخوة فى الإسلام نشر دار التوزيع والنشر ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

تحقيق الهدف من العمل الإسلامى.

* وتبادل النصائح والتواصى بالحق وبالتواصى بالصبر.

*وعقد لقاءات وزيارات مهما تباعدت المسافات. لأن تلك الزيارات تدعم المحبة والأخوة فى الله وتعين على تحقيق أهداف الدعوة إلى الله.

– والتعرف على التيارات المعادية للدعوة إلى الله، لوضع الخطط لمواجهتها وإبطال كيدها.. فى هدوء الدعاة وأسلوبهم فى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

– والقيام بدراسات تقويمية لبعض الحركات الإصلاحية الإسلامية للاستفادة من هذه الدراسات فى الحاضر وفى المستقبل.

– والتربية الإسلامية لاتستحق أن توصف بأنها إسلامية إلا إذا عملت على تربية الناس على هذا الوعى وذلك الفقه وجعلت هذا العمل من بين أبرز أهدافها.

ثانى عشر :

تكوين المسلم القادر على المشاركة فى العمل الإسلامى :

وكلمة العمل الإسلامى تحتاج منا إلى توضيح، وذلك أنه جرى استعمال هذا المصطلح «العمل الإسلامى» حديثا، ليدل على كل أنواع العمل الذى يؤدّى من أجل أن يتحقق الإسلام ويسود منهجه فى الناس علما وخلقا وعملا وسلوكا ونظاما، ودستورا يرجع إليه المسلمون فى كل شئونهم.

* وهذا الاصطلاح نبت فى دعوات وحركات وتنظيمات إسلامية معاصرة أرادت أن تدل على العمل الواجب على المسلمين من أجل دينهم فاختارت

هذه الصيغة، وشاع هذا المصطلح، ونفذ إلى الكتب والمؤلفات وأصبح من الوضوح بمكان .

* ونحب هنا أن نذكر ببعض مفردات هذا العمل الإسلامى على النحو التالى:

- الدعوة إلى الله بكل ماتشتمل عليه من تفصيلات أشرنا إليها آنفا، وفصلنا الحديث فيها فى كتابنا فقه الدعوة إلى الله.

- والحركة من أجل الإسلام، بالاختلاط بالناس، والصبر على أذاهم وحبهم والتحبب إليهم، وفعل الخير من أجلهم، وتصنيفهم فى فئات عمرية وثقافية والاستجابة لمتطلبات هذا التصنيف وتوظيفهم فى المجالات التى تلائمهم من العمل الإسلامى.

- والتنظيم الذى يوضع من أجل المدعوين ومن شملتهم أعمال الحركة، التنظيم بكل ماتحدثنا عنه من تفصيلات فى كتابنا: فقه الأخوة فى الإسلام.

- والتربية بكل ماتعنيه، ومالها من أهداف ووسائل ومراحل على نحو ما أشرنا إليه إجمالا آنفا.

والتربية مرحلة من مراحل العمل الإسلامى، تخدمها الدعوة وتخدمها الحركة، كل منهما يصطفى أفضل عناصره ليدفع بها للتربية لتتكون تكونا إسلاميا صحيحا يؤهلها لحمل أعباء العمل من أجل التمكين لدين الله فى الأرض.

- والتطبيق العملى للإسلام على مستوى الفرد والبيت والمجتمع.

- والعمل على التمكين لدين الله فى الأرض وهو ما يتطلب الفهم

والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والتجرد والثبات والأخوة والفقه[١] .

– العمل على استمرار التمكين بالمحافظة عليه.

* وكل مسلم أو مسلمة مطالب بأن يقوم بهذه الأعمال جميعا إن استطاع، وأن يركز على واحد منها يجد فى نفسه الكفاءة والقدرة على أدائه، وما لم يتم ذلك فكيف يمكّن لدين الله فى الأرض؟

– والتربية الإسلامية مطالبة بأن تهيئ الناس وتعينهم عى القيام بهذه الأعمال أو بعضها ليسهم بعمل ما فى التمكين لدين الله وقيام حكومة إسلامية تحكم بما أنزل الله، وتتخذ الإسلام «القرآن والسنة» دستورا لها.

– إن التربية الإسلامية مسئولة أن تكشف عن مواهب من تربيهم وأن توظف طاقاتهم فيما يعرفون ومايحسنون ليسهموا بهذه الطاقات فى العمل الإسلامى المؤدى إلى التمكين لدين الله فى الأرض.

وبعد: فتلك أهداف التربية الإسلامية فيما بدا لى، ولا أدعى أنى استوعبتها أو حصرتها، وإنما ذلك ما أحسست بأنه أهداف وأنا أمارس هذا العمل مايقرب من خمسين عاما، ولا أدعى أنى وافقت الصواب كله، وإنما هو اجتهاد ومن يخطىء ويصيب.

وربما كتب غيرى فى أهداف التربية الإسلامية فجمع وأوعى بأكثر مما فعلت، ولكنها عندى الخبرة والتجربة وليست البحث والتنقيب فى بطون الكتب والأسفار .

---

(١) تلك هى منظومة الإمام حسن البنا التى سماها أركان البيعة العشرة: البيعة على العمل من أجل التمكين لدين الله فى الأرض، انظر رسالة «التعاليم» إجمالا، وانظر لنا سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا .

٤ – وسائل التربية الإسلامية

الوسائل جمع وسيلة وهى: التوصل إلى الشىء برغبة.

وحقيقة الوسيلة إلى الله هى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى المكارم الشرعية.

والوسيلة فى صورتها العامة هى: كل ما من شأنه أن ييسر القيام بعمل أو يساعد على تحقيقه أو قضائه كما يلزم.

* وتختلف الوسيلة باختلاف الميادين التى تستعمل فيها، وعلى سبيل المثال:

– ففى ميدان الاقتصاد :

تعتبر النقود وسيلة لتيسير المعاملات .

– وفى ميدان النظم الاجتماعية :

تعتبر العقود المبنية على الإيجاب والقبول وسائل لنقل الملكية من واحد إلى آخر من الناس .

– وفى ميدان التربية والتعليم :

تعتبر الوسائل هى الوسائط التى توصل بها المادة التعليمية إلى المتعلمين مادية كانت هذه الوسائل أو معنوية، نظرية أو عملية، وتتنوع هذه الوسيلة أنواعا عديدة نذكر منها مايلى:

* المنهج المدرسى كله ومايشتمل عليه من مفردات منها: الخطة الدراسية والمدرس والمعمل والبناء المدرسى .. الخ .

* والكتاب .
* والمحاضرة .
* والدرس .
* والحوار .
* والمناظرة .
* والخطبة .
* وأشرطة التسجيل .
* وأشرطة الفيديو .
* والبرامج المذاعة مسموعة أو مرئية .
* والندوات .
* والدورات التعليمية أو التدريبية .
* والمؤتمرات .
* والمخيمات والمعسكرات .
* وزيارة الأماكن التى لها صلة بالمادة التعليمية .
* وزيارة الصاحلين .
* وزيارة أصحاب الخبرة ،والتجربة، والبارزين من رجال المال والأعمال.
* والقدوة.

تلك هى الوسائل بصورتها العامة دون استقصاء.

– أما الوسائل فى التربية الإسلامية، التى يستعان بها فى توصيل المعلومة أو نقل الخبرة، أو القيمة التربوية إلى الطرف الآخر، فلها – فى تصورى– تقسيم خاص نشير إليه فيما يلى:

أولا: من حيث المكان الذى تمارس فيه التربية :

وهى بهذا الاعتبار تتنوع إلى نوعين :

- عامة: وهى المسجد والمدرسة والجامعة والنادى والمجتمع.

- وخاصة : وهى البيت والأقارب والأرحام والأصدقاء والجيران .

ثانيا: من حيث نوعها، وهى كثيرة، ولكن نقسمها إلى الأقسام التالية:

أ- شفهية منطوقة أو مسموعة أو مرئية :

وهى : الخطبة والدرس والمحاضرة والحوار والمناظرة والقصة والإذاعة، والسينما والمسرح، والندوة والدورة والمؤتمر.

ب- وعلمية بحثية :

وهى تكليف المتعلم بإعداد بحث علمى فى موضوع بعينه مع معونته على المضى فى البحث بتيسير مصادره ومراجعه وخطته وطريقة السير فيه.

جـ- وعملية تدريبية:

وهى: الصحبة للصالحين والمربين، والقدوة، والمخيم، وزيارة الأماكن، والرحلة ترفيهية أو وظيفية، والسفر والهجرة ونحو ذلك.

ثالثا: هناك وسائل تربوية لجماعة الإخوان المسلمين لها، فعاليتها فى التربية فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم والتربية بعامة وهى:

- الأسرة: وهى مجموعة قليلة العدد يقوم عليها مسئول يعرف بالنقيب، وتستهدف التربية المتكاملة للفرد.

- والكتيبة: وهى مجموعة من الأسر تجتمع على العبادة والتقرب إلى الله

بالنوافل ولابد أن تشتمل على الدعاء ، وهى تستهدف تربية الروح وترقيتها وتقريبها من الله تعالى.

– والرحلة: ويشترك فيها عدد أكبر من الأسرة، وتستهدف تربية البدن وتعويده على الصبر والتحمل، وتقويته.

– والندوة وهى: موضوع واحد يشترك فى عرضه عدد من العلماء والمختصين واشتراك المستمعين فى الحوار.

– والدورة: وهى جمع عدد غير قليل من الناس، لتلقى أنواع من المحاضرات والدراسات والبحوث والتدريبات حول موضوع يهتم به العاملون في الحقل الإسلامى.

– والمؤتمر: وهو مجتمع للتشاور والبحث فى أمر ما، وله نظام وتنظيم خاص.

وهذه الوسائل الثلاثة: الندوة والدورة والمؤتمر تستهدف تربية العقل وتعميق الفكر والثقافة فهى تربية عقلية تضاف إلى التربية البدنية والروحية.

– والمخيم أو المعسكر : وهو تجمع كبير من الناس فى مكان ملائم لمدة ثلاثة أيام أو أكثر، لتطبيق برنامج خاص يتضمن التطبيق العملى للإسلام فى الطعام والشراب والنوم والحركة والتعامل والنظام والعبادة... إلخ وهو وسيلة عملية لتطبيق الإسلام(١) .

* وقبل أن ننهى الحديث عن الوسائل لابد أن ننبه إلى عدد من الأمور الأساسية فى هذا المجال ، وهى:

---

(١) ناقشت بالتفصيل هذه الوسائل التربوية الخاصة بجماعة الإخوان المسلمين فى كتاب « وسائل التربية عند الإخوان المسلمين» دراسة تحليلية تاريخية . نشر دار الوفاء بمصر ١٤٠٩هـ - ١٩٩٠م .

– أن تكون هذه الوسائل جميعها من العمل الصالح، أى مشروعة لأن كل عمل صالح قد شرعه الإسلام.

– وأن تكون خالية من كل مايغضب الله تبارك وتعالى، لأن كل مايغضب الله يلحق ضررا بفاعله أو بغيره من الناس، وكل مايلحق هذا الضرر حرام.

– وأن تكون الغاية من كل هذه الوسائل إرضاء الله تعالى، باتباع أمره واجتناب نهيه، لكى يعيش الناس حياة تليق بتكريم الله للإنسان.

وبعد: فهذه هى وسائل التربية الإسلامية نرجو أن نكون قد وفقنا فى عرض أهم ماتدل عليه.

٥- مصادر التربية الإسلامية ومراجعها

مصادر التربية الإسلامية هى: النصوص الإسلامية التى يستعين بها علماء التربية المسلمون، ويستمدون منها الأسس التى تقوم عليها العملية التربوية فى مختلف ميادينها.

* وهذه المصادر هى:

- القرآن الكريم- وهو حافل بالقيم التربوية، بل لا أبالغ إن قلت: إن كل سورة من سوره الكريمة لاتخلو من قيمة تربوية أو أكثر[١] ، ولا عجب فى ذلك فهو هدى للناس.

- والسنة النبوية المطهرة فى كتبها الموثقة كالصحاح والسنن والمسانيد، فهى حافلة بالقيم التربوية إذ هى شرح وتفصيل للقرآن الكريم.

- والسيرة النبوية المطهرة إذ هى السنة العملية، إذا اعتبرنا الأحاديث النبوية هى السنة النظرية.

- وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم وخصوصا مشاهيرهم، وما تضمنه تاريخهم من قيم تربوية، فهم ألصق الناس برسول الله ﷺ وأعرفهم بهديه وأصدقهم فى النقل عنه.

وأما مراجع التربية الإسلامية، وهى ماكتبه علماء المسلمين عن التربية الإسلامية، فأكثر من أن تحصى فى هذه الصفحات، لكننا نشير منها إلى مانرى فيه مقنعا وكفاية فيما يلى:

---

(١) تتبعنا تلك القيم فى سلسلة لنا بعنوان «التربية فى القرآن الكريم» صدر منها: التربية الإسلامية فى سورة المائدة والتربية الإسلامية فى سورة النور: وكلاهما نشرته: دار التوزيع والنشر الإسلامية - بمصر.

* مراجع التربية الإسلامية :

- تاريخ التابعين وتابعيهم، وما فى هذا التاريخ من قيم تربوية.

- جهود علماء التربية من المسلمين وما وصلوا إليه من حقائق ونظريات تربوية ومعارف لها وزنها وأهميتها، ومن أشهر هؤلاء العلماء :

١- محمد بن سحنون (٢٥٦ هـ)

وله كتاب صغير الحجم هو : «آداب المعلمين» دوَّنه عن أبيه.

٢- وابن القابسى على بن محمد (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ)

وله: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين.

٣- ومسكويه أحمد بن محمد (٤٢١هـ).

وله: تهذيب الأخلاق وتطيهر الأعراق.

٤- ابن عبدالبر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ).

وله : جامع بيان العلم وفضله.

٥- وبرهان الدين الزرنوجى (٥٧١- ٦٤٠هـ)

وله :تعليم المتعلم طريق التعلم.

٦- ومحيى الدين بن عربى ـ(٥٦٩- ٦٣٨هـ)

وله: رسالة فى تهذيب الأخلاق.

٧- وعبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨هـ)

وله: المقدمة وفيها الكثير عن التعليم والتعلم.

٨- وأبويحيى زكريا الأنصارى (٨٢٣- ٩١٦هـ)

وله: اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم.

٩- وأحمد بن محمد بن حجر الهيتمى (٩٠٩- ٩٧٤هـ).

وله: تحرير المقال فى آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال.

١٠- وبدر الدين العاملى (ت ٩٣٣هـ).

وله: كتابا الكشكول والمخلاة، أودعهما كثيرا من المعلومات التربوية.

وكتاب أدب المفيد والمستفيد.

هذه نماذج فقط والمكتبة العربية زاخرة بالعشرات بل المئات من الكتب التى تناولت موضوعات تتصل بالتربية وتعد من أمهات المراجع فى التربية الإسلامية[١].

ومنها على سبيل المثال:

١- «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالى أبى حامد.

٢- «والمقابسات» لأبى حيان التوحيدى.

«والإمتاع والمؤانسة» له أيضا.

٣- «وتذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم »لابن جماعة.

- وجهود علماء التربية الإسلامية المعاصرين الذين حصلوا على درجات علمية فى التربية الإسلامية ومايتصل بها وهم كثير فى الجامعات المصرية، وبعض الجامعات العربية.

- وجهود المصلحين من المسلمين، وماشتملت عليه من إسهامات تربوية.

---

(١) فى المكتبات العامة فى مصر وفى كثير من بلدان العالم العربى مئات المخطوطات فى التربية والتعليم والتعلم، تحتاج إلى من يعنى بها وينشرها.

– وما خلفه العلماء فى الشرق والغرب، من غير المسلمين من تراث تربوى تعرض بعضه للتربية الإسلامية وجهود المسلمين فيها بالمدح أو القدح، وذلك تراث إنسانى مهما كان فيه من تهجم على الإسلام والمسلمين نستطيع أن نجعل من بعضه مراجع فى التربية عموما، ونأخذ منه مايفيد بشرط ألا يخالف شريعتنا ولايختلف مع قيمنا وأخلاقنا.

وإسهامات علماء التربية الغربيين فى ذلك كثيرة ترجم كثير منها إلى العربية وبقى معظمها فى لغاته الأصلية، يمكن الاستفادة منه فى ظل ما شرطنا آنفا.

وبعد: فهذه صورة مجملة عن مصادر التربية الإسلامية ومراجعها لمن أراد أن يقرأ ويتعلم ويعْلم ثم يعلِّم، لأن ذلك واجب أوجبه الإسلام على كل قادر عليه.

٦- ميادين التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية ميادين فسيحة تمارس فيها، تتسع بحيث تشمل العالم كله، وتتخصص حتى تبدأ بالإنسان نفسه، وما بين هذين الحدين ميدان للتربية الإسلامية تحاول فيه أن تقيم الناس على الجادّة وعلى الصراط المستقيم صراط الله.

* ونحاول هنا أن نتعرف على هذه الميادين واحدا واحدا لنلقى الضوء عليه بما يزيل اللبس والغموض بإذن الله تعالى.

ميدان الإنسان نفسه:

وهو فى تصورى أوسع الميادين، وأهمها، لأن سائر الميادين التى سنتحدث عنها إنما هى من أجل الإنسان.

* والإنسان روح وعقل وبدن ودين وخلق وحس اجتماعى.. إلخ، والإسلام بتربيته له يحاول أن يقيمه على المنهج الذى اختاره الله تعالى للناس، فيربى روحه وعقله وبدنه وسائر ما فيه من قوى ومشاعر تربية إسلامية يستطيع بها أن يحقق السعادة فى معاشه ومعاده.

* وليس فى مخلوقات الله من هو أفضل من الإنسان لذلك أرسل الله إليه الرسل والأنبياء لإرشاده إلى مايصلحه فى دنياه وآخرته، ولتربيته ليستقيم على الدين القيم، ولذلك توجهت إليه النصوص الإسلامية ترشده وتحذره وتأمره وتنهاه، وتعلمه كل شيء حتى قضاء حاجته.

* والإنسان الموفق هو من استجاب للرسول الخاتم ﷺ إذ يدعوه لما يحييه حياة طيبة فى الدنيا والآخرة، والشقى من تنكب الطريق.

وميدان البيت المسلم:

وهو أساس المجتمع ولبنته الأساسية على الرغم من أنوف الذين ينادون بهدم الأسرة قديما وحديثا، لأن تلك من سنن الله فى تكاثر الناس وتواجدهم هذه الفترة المحدودة من الحياة الدنيا.

* والبيت المسلم يقوم فيه اختيار كل من الرجل والمرأة لمن يشاركه هذه الحياة الأسرية اختيارا ينبع من إرادة حرة تستهدى بمعايير وضعها الإسلام ليتم الاختيار على أساسها.

* وأهم معايير الاختيار لبناء البيت المسلم مايلى:

– بالنسبة للرجل عليه أن يظفر بذات الدين، فإن كان مع الدين حسب أو جمال أو مال فذلك من فضل الله، وإلا فلا يجوز أن تُخْتَار المرأة لمالها أو جمالها أو حسبها وهى غير ذات دين.

ومن خالف هذه المعايير ندم وشقى فى حياته الدنيا بمن اختار، وقصص النادمين والأشقياء بحياتهم لعدم التزامهم بالمعايير أكثر من أن تحصى قديما وحديثا.

– وبالنسبة للمرأة، أمر النبى ﷺ أولياءها إذا تقدم إليهم راغب فى الزواج بمن فى ولايتهم أن ينظروا إلى دينه وخلقه أولا، فإن كان مع ذلك مرجح آخر فمن فضل الله.

* وتربية الأولاد فى البيت المسلم قضية كبرى أولاها الإسلام أهمية تليق بها وبمستقبل الأمة الإسلامية، وهم الأطفال، وحقق فى ذلك ودقق، وألزم وأحل وحرم، ورسم الحدود والأخلاق والآداب(1) .

(1) انظر لنا: تربية الناشىء المسلم دار الوفاء بمصر ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م إذا أردت أن تتوسع فى القراءة والله يوفقك .

* وتربية كل من فى البيت من يتامى أو خدم واجب شرعى لا يستطيع المسلم أن يهمله.

* والأب له القوامة على البيت والأم تساعده ولا تنافسه فى هذه القوامة وإلا اختل البيت، وضاع الأبناء، وتستطيع المرأة المسلمة أن تسهم فى تربية أولادها بما أتاح الله لها من علم ومعرفة، ولا تملك أن تكون مجرد مصدر حنان للأولاد لايعرف الحسم ولا التأديب عند اللزوم.

وميدان المسجد :

* المسجد مكان العبادة وهو بيت الله يشرُف المسلمون بأن يكونوا ضيوفا فيه خمس مرات فى اليوم والليلة ليؤدوا فريضة الصلاة، ويتعارفوا ويتحابوا ويتفقد بعضهم بعضا عند غياب أحدهم.

* ومن هدى النبى ﷺ أن علمنا أن المسجد يطلب فيه العلم وتعقد فيه حلقاته، ومن هنا كان للمسجد أثر كبير فى تربية المسلمين صغارا وكبارا على أيدى العلماء المخلصين القادرين على التوجيه.

* والمسجد عندنا ميدان للتعليم المستمر الذى لايتوقف أبدا لأن الإنسان المسلم لا يتوقف عن التردد على المسجد فى صلواته حتى يلقى الله.

* ومجرد التردد على المسجد تربية للمسلم دون درس أو حلقة علم تعقد فيه، وحسبه مايتعلمه من الصلاة ومن تسوية الصفوف ومن الإنصات خلف الإمام ومن متابعته له، ومن تعارفه على إخوانه من المصلين.

وميدان المدرسة :

وهو ميدان يبدأ بمدرسة الحضانة ولاينتهى إلا بالجامعة فى مرحلة الدراسات العليا فيها.

* والتربية الإسلامية تقيم أكبر وزن لهذه المؤسسات التعليمية وتحاول من خلال وسائطها ووسائلها– التى تحدثنا عنها آنفا– أن تربى الإنسان الصالح، الذى يسهم فى بناء بيته وخدمة مسجده، وإقامة المجتمع المسلم، وتربيته على الإخلاص لله فى كل عمل وعلى الإحسان لكل عمل وعلى سائر القيم الإسلامية التى تجعل منه رجلا منتجا أمينا على نفسه وبيته ومجتمعه قادرا على تحمل المسئولية، مستعدا للجهاد والتضحية فى سبيل الله.

* والتربية الإسلامية وإن بدأت فى المدرسة الأولى إلا أنها تستمر إلى ما بعد المرحلة الجامعية ، مما يؤكد استمرار هذه التربية فى معظم حياة المتعلم ، فإذا أنهى المتعلم تعليمه ، فإنه مطالب بأن يعلم سواه فى المدرسة أو فى البيت أو فى المسجد أو فى أى مكان تتاح له فيه فرصه تعليم سواه .

* ولا تستطيع المدرسة أن تؤدى وظيفتها تلك فى المتعلمين إلا إذا كانت إسلامية المنهج والمدرس والكتاب والهدف والوسيلة .

وميدان الجماعات والجمعيات :

من فطرة الإنسان التى فطره الله عليها أن يحب الاجتماع إلى غيره والاستئناس به ، وتبادل المصالح معه ، والتعاون معه على دفع الأخطار والمضار.

ومن لم يكن كذلك فهو مصاب بمرض ، عليه أن يعالج نفسه منه ، إذ الإنسان السوى اجتماعى بطبعه .

* والجماعات أو الجمعيات عدد من الناس يرتاح بعضم إلى بعض وتجمع بينهم مصالح أو أهداف مشتركة ، ويقبل الفرد على الانضمام إليها بمحض اختياره ، ويجد فى نفسه الدافع على أن ينخرط فيها ويضحى من أجل تحقيق أهدافها بوقته وجهده وماله وربما بنفسه إن كان جهادا فى سبيل الله لتكون

كلمة الله هى العليا .

وهذه الجماعات أو الجمعيات لابد أن تكون أهدافها ووسائلها مشروعة يقرها الإسلام إذ لا تتضمن ضررا لأحد .

وهذه الجماعات والجمعيات ميادين جيدة للتربية الإسلامية من خلال ما تعد من برامج علمية أو ثقافية أو اجتماعية أو ترفيهية ، ومن خلال ما تمارسه من ألوان النشاط الذى أقره قانونها .

وتتنوع هذه الجماعات فنجد منها :

جماعة أو جميعةرياضية .

وأخرى ثقافية .

وثالثة اجتماعية تقدم الخدمات .

ورابعة خيرية تعين ذا الحاجة وتكفل من لا كافل له .

وخامسة سياسية فيما يعرف بالحزب السياسى.

وسادسة كشفية .

وسابعة إقليمية تضم أبناء قرية أو إقليم بعينه .

وثامنة تعليمية تنشئ المدارس والمعاهد .

وتاسعة تربوية تعنى برعاية المفاهيم التربوية الصحيحية وبثها فى الناس من خلال كتب ومجلات ومحاضرات.

وعاشرة بيئية تعنى بالمحافظة على البيئية .

وما لا أحصى من هذه الجمعيات والجماعات .

والحكومات العادلة الراغبة فى تطوير المجتمع وتحسين أداء الأفراد تشجع إنشاء هذه الجماعات والجمعيات بل تمدها بالمعونات فى بعض الأحيان ، لأنها تساعد الحكومة فى صميم ما يجب عليها .

وميدان النوادي :

وقد كثرت النوادى فى العصر الذى نعيشه ، وأصبح الانضمام إلى أحدها يحقق للإنسان مصالح هو فى حاجة إليها ، وتلك العضوية فى النوادى نوع من التعاون مع أعضاء النادى فى الصالح الخاص أو العام .

وأشهر الأندية اليوم الأندية الرياضية التى تجعل من نشاطها الاجتماعى أحيانا مجالات لتقديم خدمات لأعضائها، خدمات ترفيهية أو اقتصادية أو اجتماعية خدمية.

وقد استولى بعض السياسيين فى بعض بلدان العالم الإسلامى على هذه الأندية بقوة ما لديهم من سلطة وجعلوا من أنشطتها الدعاية للحاكم أو لوزير أو كبير فألقوا على وظيفتها ظلالا تنفر منها المخلصين الجادين .

وتجعلها مكانا يتوافد عليه المنافقون الذين ينظرون إلى هذه العضوية من خلال ما يمكن أن يتقربوا بها إلى الحكام والوزراء.

ويستطيع الجادون المخلصون من أعضاء هذه النوادى والقائمين عليها أن يسهموا في تربية الناس تربية إسلامية من خلال ما يمارسون من أنشطة رياضية أو اجتماعية أو نحوها.

وميدان المجتمع:

والمجتمع هو الوعاء الضخم الذي يضم الأسر والأفراد الذين ليست لهم أسر، ويتضمن كل ما يسود هؤلاء الناس من قيم دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو أدبية أو فنية وهذا المجتمع بكل ما فيه له اعتبارات في منهج الإسلام، نذكر منها ما يلى:

- إنه تنظيم لصالح الأسر والأفراد، فلايجوز للقائمين عليه أن يهضموا أحدا حقه باسم هذا المجتمع -كما فعلت النظرية الشيوعية أو الاشتراكية ذلك فسحقت الفرد لصالح هذا المجتمع.
- وأنه لايجوز للقائمين عليه أن يغلبوا مصالح الأفراد فيه علي مصالح المجتمع كما فعلت النظرية الرأسمالية فقدمت كثيرا من حقوق المجتمع لصالح الأفراد.
- والمجتمع كيان يحترمه الإسلام ويعطيه من الحقوق علي الأفراد ما به يرقى ويتقدم، ولكنه يفرض عليه من الواجبات ما به يرقي الفرد والأسرة، وتتحقق المصالح، وتقضي الحاجات.

والمجتمع المسلم يجب أن يصطبغ بالصبغة الإسلامية في كل مرفق من مرافقه وفي كل نشاط من أنشطته، وفي كل القيم التي تسوده، والأهداف التي يسعي لتحقيقها والوسائل التي يستعين بها.

- والتربية من خلال المجتمع من أقوي أنواع التربية وأكثرها تأثيرا في الناس وأعمها وأجدرها بالقبول عند الناس.

- وتقوم التربية الإسلامية علي ركائز عديدة من أهمها:

- الأمر بالمعروف - وهو كل ما أمر الله به- لكل أحد، وذلك أن الإنسان بحكم فطرته وقدرة الشيطان علي الوسوسة إليه كثيرا ما يقعد عن فعل ناسيا أو متناسيا، فيحتاج دائما إلى تذكر، والقرآن الكريم ذكري للمؤمنين كما قال الله تعالي: **﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾**[1]، وكما قال جل شأنه لرسوله الخاتم ﷺ وللمؤمنين: **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**[2].

- والنهى عن المنكر - وهو كل ما نهي الله عنه أوحرمه - لكل أحد كذلك، لأن الإنسان يزين له الشيطان الباطل واتباع الشهوات ويلبس عليه الحق والباطل فيعصي الله بالوقوع فيما حرم الله، فاحتاج إلى ناهٍ عن المنكر، قال الله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[3].

- والإحسان: بمعنى مراقبة الله تعالى في كل قول أو عمل، وبمعنى اتقان كل عمل يقوم به الإنسان، وبمعنى توصيل الإحسان إلى الناس، قال الله تعالى: **﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾**[4].

ميدان الأمة العربية:

الأمة العربية فى هذا المدى الجغرافى الفسيح التى تتحدث لغة القرآن، لها

---

(١) سورة الأعراف: ٢.
(٢) سورة الذاريات: ٥٥.
(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.
(٤) سورة البقرة: ١٩٥.

تميز على غيرها بأن لسانها جاء به آخر الكتب السماوية. ولها امتياز آخر هو أن العرب هم الذين انطلقوا بالإسلام ينشرونه فى العالم، لكن هذا الامتياز لايعطى للعرب أفضلية على غيرهم من المسلمين، لأن هذه الأفضلية ليست إلا بالتقوى.

* والتربية الإسلامية تستهدف في الأمة العربية أهدافا عديدة نذكر منها ما يلي:

- إعطاء لغة القرآن الكريم حقها في الصدارة والاهتمام، بحيث تكون لغة التعليم ولغة الصحافة واللغة الرسمية لكل دولة عربية ولغة التخاطب كلما أمكن ذلك.

- والاهتمام بتراث هذه اللغة ببعثه من مخطوطاته ونشره لتيسيره للناس، لأن تراث الأمة هو لبابها وهو شخصيتها وبخاصة إذا كان هذا التراث قد سجل بلغة القرآن، وتضمن علوم الإسلام.

- ومقاومة الدعاوي الكاذبة والافتراءات التي تقول بصعوبة اللغة العربية وعجزها عن مواكبة المستجدات في الحياة، والرد علي تلك الأقاويل، وإبطال سمها الزعاف.

- وتربية الناس علي الاقتناع بحقيقة راسخة هي أن من يهاجم اللغة العربية أو ينتقص قدرها إنما يحارب الإسلام، لأن العربية لغة الإسلام التي نزل بها القرآن الكريم ونطقت بها السنة النبوية المطهرة.

وحسبك بلغة لايجوز لمسلم أن يؤدى صلاته إلا بها!!!

- إن التربية الإسلامية وهي تدعم لغة القرآن تحيى فى الناس ولاءهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتزيد من تمسكهم بإسلامهم.

ميدان الأمة الإسلامية:

الأمة الإسلامية هى التى تدين بدين الإسلام، وتتبع الرسول النبى الأمىّ الذى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم قبل أن يدخلوا فى الإسلام.

وهذا المفهوم للأمة الإسلامية يدخل فيه مسلموا العالم الذين أصبحوا أكثر من ألف مليون مسلم يمثلون أكثر من خمس سكان الأرض، هؤلاء جميعا -وهم خطر على الأعداء على الرغم من أنهم ممن يعيشون فى عالم الجنوب عالم الفقر العالم الثالث- ومن أجل هذا الخطر يفكر الغرب فى تقليص أعدادهم ويخطط للسيطرة على مصادر ثرواتهم الطبيعية، ويضع فى طريق نموهم العقبات والعراقيل.

هذه الأمة الإسلامية لاسبيل أمامها إلى الخروج من دائرة نفوذ الغرب وسيطرته الاقتصادية والسياسية والثقافية، إلا إذا تدبرت أمرها وثابت إلى رشدها فقامت بالأعمال التالية:-

- أن تعود إلى التمسك بدينها والالتزام بأحكامه وأخلاقه وآدابه، فإن ذلك سوف يوقظها من سباتها، وسوف يجلو عن قلبها وعينها خداع الغرب لها بتزهيدها فى كل ما هو إسلامى، وإيهامها بأن الإسلام دين يدعو إلى التخلف والرجعية والجمود، فلو خرجت الأمة الإسلامية من هذا الخداع والوهم لاستطاعت أن تتبين طريقها فى الإصلاح والرقى والنماء.

- وأن تلتزم بأحكام الإسلام فى كل قوانينها فتحكم الناس بمنهج الله وشريعته، فيزول عن الناس ما هم فيه من قهر حكوماتهم، وحرمانهم من

حقوقهم وحرياتهم، وعندئذ تنطلق مواهبهم الإبداعية فى مجالات العلوم والفنون فما هى إلا سنوات فإذا بها خرجت من دائرة الفقر والتبعية للغرب.

– وأن تتعاون دول العالم الإسلامى بعضها مع بعض فى سبيل تكامل ثقافى واقتصادى وعلمى وتعليمى، تمهيدا لتكامل فى مجال السياسة وتكوين الكيان الكبير، ولن تستطيع دول العالم الإسلامى أن تفعل هذا وهى خاضعة للمستشارين الأجانب غارقة فى ديون الأجانب وعاجزة عن سداد فوائد هذه الديون.

– وعندما تصل إلى هذا الحد من التعاون تستطيع أن تتكافل وأن تتناصر، وأن يكون لها رأى له وزنه فى القضايا العالمية، وعلى سبيل المثال:

* تستطيع أن تعمل على رفع الاضطهاد عن مسلمى البوسنة.

* وأن تعمل على إنقاذ مسلمى كشمير وبورما.

* وأن تؤيد إحدى دولها فى قضية عادلة تتحداها الأمم المتحدة والنظام العالمى الجديد، مثل أن تحاول إحدى الدول الإسلامية أن تطبق الشريعة فيقف العالم كله ضدها يتهمها بالإرهاب والتطرف كما هو موقف الغرب من السودان مثلا.

* وتستطيع أن تعترض على اضطهاد المسلمين من أجل دينهم كما هو الواقع فى كثير من الولايات الإسلامية التى كانت مغتصبة من الاتحاد السوفيتى السابق.

– إن التربية الإسلامية هى التى تولد هذه الرغبات عند المسلمين، وتضىء لهم طريقهم نحو التخلص من التبعية والجمود وعالم الفقر والديون وفوائد الديون، بل أن يوهمها الغرب بأن الحل فى تقليص العدد وتحطيم الأسرة، وإباحة الإجهاض واللواط والسحاق!!!

* ليس كالتربية الإسلامية شيء يفتح القلب والعقل والعين على هذه الحقائق، ويساعد على التخلص منها من خلال التحاكم إلى شرع الله ونظامه.

ميدان العالم الإنساني كله:

هذا العالم مع تطور وسائل الاتصال والمواصلات أصبح صغيرا والمسلمون مطالبون بالتعامل مع هذا العالم كله من منطلق أن الدعوة إلى الله يجب أن تصل إلى كل إنسان فى أى مكان من الأرض.

وعلى الرغم مما يعانى منه المسلمون من ظلم واقع عليهم من الغرب الذى يتحكم اليوم فى العالم كله بهيئة الأمم المتحدة التى يسيطر عليها، وبالنظام العالمى الجديد الذى ابتكره بعد حرب الخليج الثانية، على الرغم من ذلك كله فإن الإسلام لايسمح للمسلم أن يحمل حقدا على أحد ولا أن يضمر شرا لأحد، وإنما يتعامل مع كل الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، ويوم تسد هذه القنوات لتعنت الطرف الآخر وتصبح الحرب ضرورة فإن الإسلام يسمى هذه الحرب جهادا فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، دفاعا كان ذلك الجهاد أو هجوما.

هذا الأسلوب فى التعامل مع العالم كله من غير المسلمين، لايأتى من فراغ، وإنما تقف وراءه فلسفة التربية الإسلامية تمده بالحق وتؤيده بالحجج والبراهين، وترسم طريق العمل والتعامل وتربى النشء على ذلك منذ نعومة أظفارهم.

إن التربية الإسلامية تربية إنسانية تحترم الإنسان مهما كان دينه أو لونه أو عرقه، لا كتلك التربية التى تجعل من اليهودى أفضل الناس وتربيه على أن الناس يجب أن يكونوا فى خدمته، ولا كتلك التربية التى تقيم الدنيا وتقعدها لأن عشرين من صرب البوسنة قتلوا فى حرب بين المسلمين والصربيين ثم

تتجاهل أبشع ما عرفته البشرية فى تاريخها من أعمال وحشية مارسها صرب البوسنة ضد مسلمات البوسنة وأطفالها وشيوخها وشبابها[1]، مما لم يسمع له مثيل، ولك أن تتخيل امرأة مسلمة يغتصبها صربى، ثم يلقحونها بأجنة كلاب!! تخيل الحقد والنفوس السوداء التى ترتدى جلدا أبيض!!

إن التعامل مع هذا العالم الظالم المتجنى المتعصب ضد الإسلام والمسلمين المستولى على خيرات بلادهم يحتاج إلى تربية إسلامية ترشد هذا التعامل، ويحتاج إلى اتحاد إسلامى يجعل لكلمة المسلمين وزنا، ولمواقفهم تأثيرا، ولرفضهم أو قبولهم اعتبارا.

إن التربية الإسلامية تسهم فى بناء الرجال الذين يحسنون التعامل مع العالم كله، يأخذون منه ويعطونه فى إطار ما أحل الله وما حرم، ويسالمونه طالما سالمهم ويحاربونه عندما لايجدون بدا من حربه.

---

(١) أذيع نبأ قتل هؤلاء العشرين في يوم ٦/١٠/٩٤م، بينما يحدث لمسلمى البوسنة ما يشيب له الولدان من عام ١٩٩٢ بشكل متواصل، لم تحتج عليه هيئة الأمم بتلك الحدة ولابعضها!!

٧- منهج التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية منهج يخصها، بل تنفرد به عمن سواها من أنواع التربية، وهذا التفرد نابع من أن هذا المنهج مأخوذ من الكتاب والسنة، وليس من سواهما من المناهج تشاركها فى ذلك.

هذا المنهج المتفرد لابد أن تكون له صفات أخرى تجعله على هذا المستوى من التفرد، وتلك الصفات فيما أتصور كثيرة أذكر منها ما يلى:

- أنه منهج متكامل بمعنى أن بعضه لايغنى عن بعض، وأنه قادر على بناء الإنسان المسلم، طالما أخذ به كله دون إهمال لشىء منه.

- وأنه منهج يربى الإنسان الصالح للتعامل مع الحياة الدنيا ومع الحياة الآخرة.

- وأنه منهج يعترف بكل الطاقات التى فى الإنسان: الروحية والعقلية والبدنية، ويعمل على الاستجابة لحاجاتها فى إطار شرعية جاء بها الإسلام.

- وأنه منهج قابل للتطبيق بمعنى أنه ليس ممعنا فى المثالية التى تعجز الإنسان عن اللحاق بها أو تطبيقها.

- وأنه منهج عملى لم يكتف بوضع النظرية، ثم يتجاهل ظروف تطبيقها وملابساته.

- وأنه منهج مستمر ليس مؤقتا ولامرحليا، ولايناسب زمانا دون زمان ولا مكانا دون مكان، وإنما هو صالح للبشرية كلها، ومستمر معها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

- وأنه منهج يستوعب كل المستجدات فى حياة الناس، ويفتح أمام المتربى عليه باب العلم والإبداع والكشف عن حقائق الكون إلى غير ماحد، أو إلى الحد الذى تطيقه قدرة الإنسان وطاقته وأنه يسخر هذا العالم لصالح كل الناس.

وإذا كان المنهج هو الطريق والخطة المرسومة، فإن للتربية الإسلامية طريقا واضحة بينة المعالم والحدود، معروفة الأهداف والوسائل تربى الإنسان لتقدره على أن يحقق سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا المنهج وإن كان نابعا من الكتاب والسنة كما قلنا آنفا، إلا أنه لم يمنع المسلمين فى الماضى، ولا هو بما نعهم فى الحاضر أو المستقبل من أن يفصلوا هذا المنهج ويستعينوا فى ذلك بما شاءوا ومن شاءوا، مادام ذلك لايخرج بهم عن أحكام الإسلام وآدابه، ويتيح لهم أن يتعاملوا مع المستجدات والمتغيرات المستمرة فى حياة الإنسان.

ومنهج التربية الإسلامية ملتزم فى كل محتوياته بخطوات المنهج العلمى فى الإسلام، عند بحث أى ظاهرة أو مشكلة، من رصد هذه الظاهرة وملاحظتها وإجراء التجارب عليها، ووضع الفروض لها، ثم التحقق من هذه الفروض وصدقها أو بطلانها، رغبة فى التوصل إلى قوانين عامة تربط بين الظواهر، وتبحث عن العلاقات بينها[1].

ولابد أن ننبه إلى أن هذا المنهج العلمى فى البحث هو من تراث الإنسانية كلها مسلمين وغير مسلمين، لكن المسلمين عندما يمارسون هذا المنهج يلزمون أنفسهم بأخلاق الإسلام وهم يوالون تحقيق خطوات المنهج العلمى من أمانة وصدق وإخلاص وموضوعية وبعد عن المجازفة والمبالغة.

---

(١) انظر لنا: نحو منهج بحوث إسلامى نشر دار الوفاء مصر ١٤٤٠ هـ - ١٩٨٩م.

ومنهج التربية الإسلامية نوعان:

الأول:

المنهج المدرسى، الذى يوضع للعملية التعليمية كلها ابتداء من المبنى المدرسى وما يلحق به من مرافق وما ينبغى أن يكون عليه من قدرة على أداء وظيفته، وانتهاء بكل صغيرة فى المدرسة قد يراها بعض الناس ثانوية وإن كانت فى الواقع ضرورية مثل تنسيق فناء المدرسة وتزيينه وإعطائه مسحة جمالية، لأن كل ذلك يسهم فى أن تكون العملية التعليمية على صورتها الجيدة، وهذه المبانى من صميم المنهج بمعناه العام.

ومن المنهج المدرسى المعلم الذى يقوم على العملية التربوية وينفرد فيها بأكبر نصيب، وكيف يعد هذا المعلم إعدادا علميا عمليا فنيا، حتى يقوم بأداء هذا المنهج، مما يتطلب إعادة النظر فى متطلبات كليات التربية والمعلمين فيمن يعمل بالتدريس، وإعادة النظر فى تقدير المجتمع والحكومة لهذا الذى يربى مستقبل الأمة، بحيث ينال حقوقه المادية والمعنوية، ويصبح عبء العمل بالنسبة له محتملا وعدد الطلاب فى الفصل الدراسى معقولا يتمكن معه من التعامل مع الطلاب جميعا.

أما تلك الصورة التى أصبح عليها حال المعلم وعدد الطلاب فى الفصل والتى آل إليها البناء المدرسى فى معظم بلدان العالم الإسلامى فهى بكل تأكيد صورة غير إنسانية.

وكل حكومة تستحق أن تسمى حكومة لايجوز لها أن تهمل فى التعليم لو أهملت فى أى مرفق من مرافق الدولة، لأن الخلل فى التعليم خلل فى تركيب

المجتمع كله ينعكس على حياة الناس بأسوأ الآثار، وليس هذا موضع شك من أحد.

ومحتوى المنهج فى التربية الإسلامية أو المقررات الدراسية لابد أن يتضمن أموراً على جانب كبير من الأهمية فى تربية الإنسان المسلم، وعلى سبيل المثال:

– فلابد أن تكون للمنهج علاقة بكل ما هو إنسانى فى الحياة.

– ولابد أن يكون له ارتباط بالمجتمع وحاجاته الحالية أو فى المستقبل، وأن تكون له قدرة على بث القيمة الأخلاقية الإسلامية وتعديل السلوك لينسجم مع القيم الإسلامية.

– ولابد أن تكون للمنهج علاقة بعلوم الحياة، يؤديها المعلمون للمتعلمين حسب مستوى أعمارهم، بما يحفظ للطلاب صحة المعرفة والتوازن النفسى والاجتماعى، فتلك أمانة لايجوز التفريط فيها بحال.

– ولابد أن يشتمل المنهج على برامج ووسائط لتربية طاقات الإنسان الفطرية فيه، كتربية الروح والخلق والعقل والبدن، وحاجته الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجهادية والجمالية، وأى إخلال بشىء من ذلك هو إخلال بالإنسان.

– ولابد أن يكون منهج التربية الإسلامية ذا مستويات متدرجة يلبى بها احتياجات المجتمع، حيث يخرج المتعلمين لممارسة الحياة، ويخرج العلماء والباحثين لمواصلة البحث العلمى والإبداع والاكتشاف، ويخرج المهنيين فى كل مجال من المجالات التى تحتاجها الحياة الإنسانية.

ولايمكن لمنهج التربية الإسلامية أن يستوفى كل هذا وغيره مما لم نذكره إلا

إذا عكف على إعداده خبراء وعلماء مهمتهم وضع المناهج وفق الأهداف التى تحدثنا عن بعضها ـ المطلوبة من التربية الإسلامية ـ.

والآخر:

منهج غير مدرسى، نستطيع أن نسميه منهج التعليم المستمر وهو المنهج الأصلى الذى تفرع عنه المنهج المدرسى، وذلك بسبب أن تعليم الناس وإثرائهم بالعلم والمعرفة طوال حياتهم هو هدف التربية الإسلامية فى كل حين، وهذا يميز للتربية الإسلامية عن غيرها من أنواع التربية التى تجعل المنهج المدرسى هو الأساس.

فإذا كان تحصيل العلم والمعرفة مطلبا إسلاميا أصيلا يلازم الإنسان طالما هو حى يرزق، وإذا كانت أول آيات القرآن الكريم نزولا على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هى قوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم**﴾[١].

مادام الأمر كذلك فإن التربية المستمرة فى الإسلام هى الأصل وهى القاعدة العريضة التى تضم المجتمع كله صغارا وكبارا، ثم يشتق من ذلك منهج لتعليم الصغار.

ومادامت القراءة مطلبا إسلاميا، وهى فى الوقت نفسه مطلب إنسانى يستطيع من خلالها الإنسان أن يرقى ويتحضر، فإنه يدخل فى مفهوم القراءة التأمل والتدبر والنظر والإفادة من السير فى الأرض والتعرف على العبرة والعظة من التاريخ، وكل ذلك من التربية المستمرة التى دعا إليها الإسلام فى عشرات

---

(١) سورة العلق: ١ - ٥.

الآيات القرآنية التى تطالب بالنظر والتدبر والتفكر والسير فى الأرض، وكل ذلك يدل من جانب آخر على تقدير الإسلام للعقل وإعطائه الحرية فى النظر والتفكير والتدبر ليهتدى إلى الحق، وسبق أن أكدت أن العقل لايمكن- إذا كان مستقيما غير منحرف عن فطرته- أن يتعارض مع الشرع.

إن المنهج التربوى المستمر له ميادين يمارَس فيها هى:

- البيت حيث يعلم الإنسان المشى والكلام والقيم الخلقية والمهارات المناسبة لحياته، والبيت مؤسسة مستمرة.

- والمسجد، حيث يتعلم الإنسان الاختلاط بالناس والتعامل معهم، ويتعلم النظام والطاعة والنظافة وكل فضيلة يحتاج إليها فى حياته، والمسجد مؤسسة مستمرة يتردد عليها الإنسان طوال حياته ويتعلم منها اليوم ما لم يستطع تعلمه بالأمس.

والبيت والمسجد يتعاونان فى إعطاء القيم التربوية للإنسان طوال حياته.

إن منهج التربية المستمرة فى الإسلام عريق واكب الخطوات الأولى للدعوة الإسلامية فى حين لم يشعر بها أو بالحاجة إليها العالم إلا أخيرا فى منتصف القرن العشرين على وجه التقريب حيث تنبهت الدول الغربية المتقدمة إلى أن التخرج من المدرسة ما ينبغى أن يكون هو نهاية المطاف فى التعليم، إذ يجب أن يتعلم طوال حياته.

وبعد:

فقد قدمت فى هذه الصفحات السابقة مفهوم التربية الإسلامية ودلالة وصفها بأنها إسلامية، وعرفت بكثير من أهدافها وبعدد من وسائلها، وعرفت

بمصادرها ومراجعها، وميادين التربية الإسلامية، ثم عرفت بمنهجها.

وكان هذا ضروريا على الرغم من إيجازه، للحديث عن التربية الروحية التى هى موضوع هذه الحلقة الأولى من سلسلة مفردات التربية الإسلامية.

الباب الثانى

التربية الروحية

الباب الثانى

التربيــة الروحيــة

التمهيـد .

التمهيد:

فى التمهيد لحديثنا عن التربية الروحية نقول:

التعليم والتربية يتبادلان المواقع غالبا، ويترادفان فى المعنى أحيانا كثيرة، وعند التدقيق والتأمل قد يتبادلان العموم والخصوص فى بعض الأحيان بمعنى أن مفهوم التربية قد يكون أوسع من مفهوم التعليم أو العكس.

والتعليم أو التربية التى نتحدث عنها هنا هى: التربية الإسلامية، وقد سبق أن تحدثنا عن ميادينها، فكان أول هذه الميادين هو الإنسان نفسه، وأوضحنا هناك بإيجاز ما تتناوله تربية الإنسان من روح وعقل وخلق وبدن.. أو فى مفردات عشرة ذكرناها هناك.

وقلنا كذلك: إن العناية بتربية الإنسان من هذه الجوانب كلها هى الأصل فى بناء الإنسان وطبعه بطابع الإسلام وتمكينه من ممارسة الحياة والاسهام فى بنائها بناءً صحيحا، يحقق للإنسان - وهو أفضل مخلوقات الله - كرامته واحترامه وتقديره فى حيايته الدنيا والآخرة.

وكل أنواع التربية التى ذكرناها آنفا، وغيرها مما غاب عنا، كل ذلك إنما يتصل بقضية إنسانية تاريخية كبرى هى: «لماذا خلق الله الإنسان وأسكنه هذه الأرض، وسخر له ما فيها، وأرسل له الأنبياء والمرسلين الذين طالبوه جميعا بعبادة الله وحده؟ ولماذا وضع له هذا المنهج الخاتم فأتمه وأكمله؟ وطالبه باتباعه؟ ولماذا يميته بعد هذه الحياة، ثم يبعثه للحساب والجزاء؟»

تلك كبرى قضايا التاريخ الإنسانى على وجه الأرض..

ولقد تحيرت البشرية -التى لم تهتد بهدى الأنبياء والمرسلين- فى توضيح أبعاد هذه القضية، والرد على التساؤلات المطروحة حولها.

- عجزت البشرية البعيدة عن هدى النبوة عن أن تعرف فضلا عن أن تجيب عن هذه الاسئلة وكان من رحمة الله بالناس أن تابع لهم إرسال الرسل وتنبىء الأنبياء، ليعينهم على المعرفة ويدلهم على الإجابة.

- كل رسل الله عليهم الصلاة والسلام أمرهم الله تعالى أن يقولوا للناس: **﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾**[1].

والعبادة هى أن يربى الإنسان نفسه وغيره ممن يليه أو يقوم بتربيته وفق منهج الله الشامل المتكامل الواجب الاتباع.

إن الإجابة على السؤال الأول هى أن الإنسان خلق فى هذه الحياة ليعبد الله **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[2].

والإجابة على السؤال الثانى هى أن الله تعالى أرسل الرسل والأنبياء ليطالبوهم بعبادته ويدلوهم على كيفيتها، قال الله تعالى: **﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله﴾**[3].

لقد جاء الرسل بالبينات وجاءوا مبشرين ومنذرين، وجاءوا بالمنهج الصحيح -الكتاب- وبالعدل بين الناس -الميزان- وبالقوة التى تحمى الحق الذى يدعون إليه -الحديد- قال الله تعالى: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم**

---

(١) تكررت هذه الآية بنصها فى سورة هود ثلاث مرات وفى سورة الأعراف أربع مرات، وتكرر لفظ «اعبدوا» إحدى وعشرين مرة.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة فصلت: ١٤.

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾[1].

وأما لماذا وضع المنهج وجعل واجب الاتباع، فلأن الله تبارك وتعالى جعل منهجه هو الصراط المستقيم وحده من بين كل المناهج التى عرفها الإنسان، بدليل أنه سبحانه طالب الناس بعبادته وعقب علي ذلك وأشار إليه بأنه الصراط المستقيم قال الله تعالى: **﴿إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾**[2] وأوجب اتباع هذا المنهج بقوله تعالى: **﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**[3].

وأما لماذا يميته ويحييه ويحاسبه فلكى يختبر إيمانه واتباع رسله وعمله الصالح وحبه للخير **﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**[4]. وقال جل شأنه: **﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون، ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون، وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين، وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين﴾**[5].

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.
(٢) سورة آل عمران: ٥١ وتكررت بنفس اللفظ فى سورة مريم: ١٦، وفى سورة الزخرف: ٦٤.
(٣) سورة الأنعام: ١٥٣.
(٤) سورة الزلزلة: ٦ - ٨.
(٥) سورة الجاثية: ٢٦ - ٣١.

ولتحرير معنى عبادة الله سبحانه وبيان دلالتها نذكر بما قال أسلافنا من العلماء وهم يشرحون معنى العبادة:

- معنى العبادة لله: هو غاية التذلل له سبحانه.

- ومن معانيها: العبودية له وحده وتوحيده إلها وربا، والتلقى عنه وحده فى كل ما أمر به أو نهى عنه فى كل شئون الدنيا والآخرة.

- ومن معانيها أنها نوعان:

عبادة تسخير: وهى للإنسان والحيوان والنبات والجماد وكل شىء، كما فى قوله تعالى: ﴿**ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال**﴾[1]، فكل هذه المخلوقات عابدة لله تسخيرا لاتملك غير ذلك.

وعبادة تخيير: وهى خاصة بالإنسان وحده دون مخلوقات الله تعالى، فهو مخير إن شاء عبدالله فآمن به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإن شاء رفض فكفر وعصى، وإنما كفر وعصى لأن الله تعالى أمره بعبادته ونهاه عن عبادة غيره.

- ومن معانى العبادة فى الإسلام دلالتها على ما هو أوسع وأعم من أداء الفرائض، بحيث تشمل أداء النوافل والقربات، بل تشمل الأعمال العادية إذا صاحبتها نية العبادة عند أدائها، ويدخل فى ذلك القول والصمت والفعل والترك، وكل ما يمارسه الإنسان فى حياته.

- والعبادة هى المنهج الشامل للحياة الإنسانية الذى جاء من عند الله سبحانه، مع اتخاذ هذا المنهج دستورا للحياة عموما وللتربية على وجه الخصوص، ذلك المنهج الذى يتيح للإنسان أن يرضى عن ربه بألا يكره ما

(١) سورة الرعد: ١٥.

يجرى به قضاؤه، وأن يرضى ربه عنه حيث يراه مؤتمرا بأمره منتهيا عن نهيه، كما فى قوله تعالى: **﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾**[1].

وبعد: فتلك معانى التربية الإسلامية ومدى ارتباطها بمنهج خاص بها ومدى ارتباط هذا المنهج بعبادته وحده: لا شريك، ليكون المتبع لهذا المنهج من حزب الله فيرضى عن ربه ويرضى عنه ربه ويكون من المفلحين.

ولعلى بذلك قد مهدت لحديثى عن التربية الروحية التى هى فرع من فروع التربية الإسلامية، بل هى أهم الفروع لأن الروح أشرف وأفضل ما أودع الله فى الإنسان من طاقات وحسبها فضلا وشرفا- كما أسلفنا- أنها نفخة من روح الله تبارك وتعالى، كما فى قوله تعالى عن أبى البشر آدم عليه السلام: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين.﴾**[2].

وإلى الحديث عن مفهوم التربية الروحية والله ولى التوفيق.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة الحجر:٢٨-٢٩.

الفصل الأول:

مفهوم التربية الروحية . ويشمل:

١- التداخل بين القلب والنفس والعقل والروح

٢- ماهي الروح؟

٣- لماذا تربى الروح؟

وكيف تربى؟

١ – التداخل بين مفاهيم القلب والنفس والعقل والروح

هذه الكلمات الأربعة:

القلـــــب.

والنفـــس.

والعقـــل.

والـــروح.

تتداخل مفاهيمها وتتشابه، ولايدرك الفوارق الدقيقة بينها إلا جهابذة العلماء ممن رزقهم الله تفقها فى الدين، وعلمهم التأويل.

والذين لايدركون هذا التداخل والتشابه كثيرا ما يقعون فى أخطاء، قد يؤدى بعضها إلى ضلال وفساد فى العقيدة، كما حدث ممن يسمون «أهل الباطن» فإنهم أُتوا من سوء فهمهم لهذا التداخل والتشابه وما فى هذه الكلمات.

ومن تتبع آيات القرآن الكريم التى وردت فيها هذه الكلمات ونظر إليها نظر المؤمن الذى لايتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، استطاع أن يهتدى إلى الصواب، وأن يكون مع الحق.

ومن هؤلاء العلماء الذين نظروا تلك النظرة الصائبة الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله.

وسوف نستعرض ما قال فى ذلك فى موسوعته الإسلامية «إحياء علوم الدين».. مع اختصار منا وتصرف لا يخل بالمعنى الذى أراد. والله المستعان:

– القلب:«قد يراد به العضو الخاص فى جسم الإنسان الذى يضخ الدم فيه،

وليس هو مقصودنا، هنا.

وقد يراد به: تلك الطيفة الربانية الروحانية التى لها بهذا القلب العضوى تعلق، وهو مقصودنا هنا.

وهذا القلب بهذا المعنى هو حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب المكلف المحاسب المعاقب والمعاتب...»

ويقول الراغب الأصفهانى فى «المفردات فى غريب القرآن» القلب يعبر به عن المعانى التى تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك وقوله تعالى: **﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾** [١] أى الأرواح، وقال : **﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾** [٢] أى علم وفهم. وقوله:**﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾** [٣] أى تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم، وقوله: **﴿ولكن تعمى القلوب التى فى الصدو﴾**[٤] أى الروح

- والنفس:

كما يقول الإمام الغزالى:

وقد يراد بها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان وهذا المعنى هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها..

وقد يراد بالنفس: اللطيفة الربانية الروحانية التى هى القلب أو هى الإنسان على وجه الحقيقة.

---

(١) سورة الأحزاب:١٠

(٢) سورة ق: ٣٧

(٣) سورة الأنفال: ١٠

(٤) سورة الحج: ٤٦

وعلى هذا فالقلب والنفس بمعنى واحد.

وهذا هو التداخل والتشابه الذى أشرنا إليه فى العنوان الذى اخترناه.

قال الراغب الأصفهانى فى مفرداته:

النفس: الروح فى قوله تعالى: **﴿أخرجوا أنفسكم﴾** [١] وفى قوله تعالى: **﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾**[٢] وقد وصف النفس فى القرآن الكريم بصفات متعددة منها:

وصفها بأنها أمارة بالسوء، قال الله تعالى: **﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾**[٣] أى تأمر صاحبها بالشر.

ووصفها بأنها لوامة، قال الله تعالى: **﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾**[٤] أى التى تلوم صاحبها على ارتكاب الذنوب.

ووصفها بأنها مطمئنة ، قال تعالى: **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾** [٥].

والنفس الموصوفة بهذه الصفات هى الروح .

– والعقل:

قال الإمام الغزالى:

قد يراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب.

---

(١) سورة الأنعام: ٩٣

(٢) سورة البقرة: ٢٣٥

(٣) سورة يوسف: ٥٣

(٤) سورة القيامة: ٢

(٥) سورة الفجر: ٢٧-٢٩.

وقـد يراد به المدرك للعلوم فـيكون هو القلب أو النفس، وهو اللطيـفـة الربانيـة الروحانية التى هى الإنسان المخاطب المكلف.

وهذا هو التداخل والتشابه بين القلب والنفس والعقل.

وقال الراغب الأصفهانى:

«العقل: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم.

وإلى ذلك المعنى أشار رسول الله ﷺ بقوله:

«ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل»

وقد يقصد بالعقل العلم الذى يستفيده الإنسان بتلك القوة المتهيئة لقبول العلم، وإلى ذلك أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**ماكسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرد عن ردى**».

- والروح:

قال الإمام الغزالى:

قد يطلق ويراد به جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسـمـانى فـينتـشر بوساطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن، وفيضان أنوار الحياة، والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور من السراج، الذى يدار فى زوايا البيت، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستفيد منه.

والحياة مثالها: النور الحاصل فى الحيطان.

والروح مثالها: السراج.

وسريان الروح وحركته فى الباطن مثاله: حركة السراج فى جوانب البيت

بتحريك محركه.

والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان.

فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا.

وقد يراد بالروح: اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو القلب، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله: **﴿قل الروح من أمر ربى﴾** [1] وهو أمر عجيب ربانى تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته».

وقال الراغب الأصفهانى فى مفرداته:

الروح اسم للنفس، لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس، وإضافة الروح إلى الله تعالى فى قوله سبحانه: **﴿ونفخت فيه من روحى﴾** [2] إضافة ملك، وتخصيصه بالإضافة تشريف به وتعظيم.

وسمى القرآن الكريم روحاً فى قوله تعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾**[3] وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة فى قوله تعالى: **﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان ﴾** [4].

وأقول: ولكونه سببا فى التوفيق فى الحياة الدنيوية لتضمنه الهدى، وأمره

(١) سورة الإسراء:٨٥
(٢) سورة الحجر:٢٨
(٣) سورة الشورى: ٥٢
(٤) سورة العنكبوت:٦٤

بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومطالبته بالعدل والإحسان ونهيه عن الظلم ومطالبته بعدم قبوله.

وهو حقا الكتاب الخاتم الذى دعا البشرية إلى ما يحييها الحياة الإنسانية الكريمة الملائمة لتكريم الله للإنسان، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ [1] أى صدقوا بالحق وأذعنوا له، وأجيبوا الله وأجيبوا الرسول ﷺ إذا دعاكم الرسول إلى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم.

---

(١) سورة الأنفال:٢٤.

٢- ماهى الروح؟

الروح: اسم للنفس التى تحصل بها الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار.

والروح هى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ (١)

وفى قوله تعالى: ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾ (٢)

وسمى أشراف الملائكة أرواحاً كما فى قوله تعالى: ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾(٣)

وسمى جبريل عليه السلام روحا، قال الله تعالى: ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين**﴾(٤) كما سمى روح القدس كما فى قوله تعالى: ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾(٥).

وسمى عيسى عليه السلام روحا، كما فى قوله تعالى: ﴿**وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه**﴾ (٦).

والروح يطلق على الموجود الخفى المنتشر فى سائر الجسد الإنسانى حين يكون جنينا، بعد أن يمضى على نزوله نطفة فى الرحم مائة وعشرون يوماً، وهذا

(١) سورة الإسراء:٨٥
(٢) سورة الحجر:٢٨٩
(٣) سورة النبأ:٣٨
(٤) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤
(٥) سورة النحل: ١٠٢
(٦) سورة النساء:١٧١

الإطلاق يفهم من قوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى...﴾

وقد سئل رسول ﷺ عن الروح، سواء أكان السائلون هم مشركو العرب بإيعاز من اليهود الذين كانوا على صلة بهم، أم من اليهود أنفسهم، وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: **﴿ويسألونك عن الروح﴾** وقد أجابهم بقوله ﷺ كما أمره ربه: **﴿قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**.

وموضوع الروح وبيان ماهيتها قد شغل الفلاسفة وحكماء المشترعين، لظهور أن فى الجسد الحى شيئا زائدا على الجسم، به يكون الإنسان مدركا، وبزواله يصير الجسم مسلوب الإرادة والإدراك، فعلم بالضرورة أن فى الجسم شيئاً زائدا على الأعضاء الظاهرة والباطنة، غير مشاهد، إذ قد ظهر بالتشريح أن الجسم الميت لم يفقد شيئا من الأعضاء الباطنة التى كانت له فى حال الحياة.

وإذ قد كانت عقول الناس قاصرة عن فهم حقيقة الروح وكيفية اتصالها بالبدن ، وكيفية انتزاعها منه، ومصيرها بعد ذلك الانتزاع، أجيبوا بأن الروح من أمر الله، أى أنه كائن عظيم من الكائنات المشرفة عند الله، ولكنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

فلفظ **﴿من أمر ربى﴾** يحتمل أن يكون مرادف الشئ، فالمعنى: الروح بعض الأشياء العظيمة التى هى لله، فبإضافة كلمة «أمر» إلى الله تعالى على معنى لام الاختصاص ، أى أمر اختص بالله اختصاص علم.

ويقول فى هذا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله:

«والذين حاولوا تقريب ماهية الروح من الفلاسفة والمشترعين بوساطة القول الشارح لم يأتوا إلا برسوم ناقصة مأخوذة فيها الأجناس البعيدة والخواص التقريبية غير المنضبطة وتحكيم الآثار التى بعضها حقيقى وبعضها خيالى، وكلها

متفاوتة فى القرب من شرح خاصاته وأماراته بحسب تفاوت تصوراتهم لماهيته، المبنيات على تفاوت قوى مداركهم، وكلها لا تعدو أن نكون رسوما خيالية وشعرية معبرة عن آثار الروح فى الإنسان.

وإذ قد جرى ذكر الروح فى هذه الآية وصُرِفَ السائلون عن مرادهم بفرض صحيح اقتضاه حالهم وحال زمانهم ومكانهم، فما علينا أن نتعرض لمحاولة تعرف حقيقة الروح بوجه الإجمال فقد تهيأ لأهل العلم من وسائل المعرفة ما تغيّرت به الحالة التى اقتضت صرف السائلين فى هذه الآية بعض التغير.

وقد تتوفر تغيرات فى المستقبل تزيد أهل العلم استعدادا لتجلى بعض ماهية الروح، فلذلك لا نجارى الذين قالوا: إن حقيقة الروح يجب الإمساك عن بيانها لأن النبى ﷺ أمسك عنها فلا ينبغى الخوض فى شأن الروح بأكثر من كونها موجودة.

فقد رأى جمهور العلماء من المتكلمين والفقهاء، منهم:

أبو بكر بن العربى فى كتابه: العواصم من القواصم.

والنووى: فى شرح صحيح مسلم.

أن هذه الآية لاتصد العلماء عن البحث عن الروح لأنها نزلت لطائفة معينة من اليهود، ولم يقصد بها المسلمون.

فقال جمهور المتكلمين: إنها من الجواهر المجردة، وهو غير بعيد عن قول بعضهم: هى من الأجسام اللطيفة.

والأرواح حادثة عند المتكلمين من المسلمين وهو قول «أرسطاليس».

وقال قدماء الفلاسفة هى قديمة وذلك قريب من مرادهم فى القول بقدم العالم، ومعنى كونها حادثة أنها مخلوقة لله تعالى.

فقيل: الأرواح مخلوقة قبل خلق الأبدان التى تُنْفَخ فيها، وهو الأصح الجارى على ظواهر كلام النبى ﷺ[١] فهى موجودة من الأزل كوجود الملائكة والشياطين.

وقيل: تُخلق عند إرادة الحياة فى البدن الذى توضع فيه.

واتفقوا على أن الأرواح باقية بعد فناء أجسادها وأنها تحضر يوم الحساب»[٢].

هذه هى الروح كما تحدث عنها القرآن الكريم، وكما أوضح مفهومها العلماء الأثبات.

فلماذا تُربّى، هذه الروح؟

وكيف تُربّى؟

---

(١) يشير إلى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات: ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لايكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة» رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى.

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ١٥/١٩٩ - ٢٠٠ نشر الدار القومية للنشر د. ت

٣- لماذا تُربَّى الروح؟ وكيف تُربَّى؟

الروح - كما أوضحنا - جزء من الإنسان، بل أشرف جزء فيه، والإنسان كما قلنا آنفا[١]: هو موضوع التربية الإسلامية، سواء أكان فردا أم عضوا فى أسرة أم عضوا فى المجتمع كله.

وتربية الإنسان مطلب شرعى، لأنها تستهدف إقامة الإنسان على الصراط المستقيم صراط الله، لتصح له حياته الدنيا فيحيا فيها أهلا لتكريم الله تعالى له، ولتصح له حياته الأخرى فيحظى برضى الله وحسن مثوبته.

هذا الإنسان لابد أن يربى وأن يُعلَّم وأن يرشد إلى الحق... والإنسان -كما قدمنا آنفا- روح وعقل وجسد، ولابد من التنسيق بين مطالب هذه الطاقات الثلاثة وإعطائها القدرة والفرصة لكى تعبر عن هذه الطاقات فى ظل شرعية معينة.

وفى اختصار شديد، وتبسيط لأبعاد هذه القضية نقول سائلين الله العون والسداد:

إن الروح وهى أشرف ما فى الإنسان لأنها نفخة من الله، لابد لها من تربية تستهدف تيسير السبيل أمامها لمعرفة الله تعالى، وتعويدها وتدريبها على القيام بأعباء العبودية له سبحانه وتعالى -كما سنوضح ذلك مفصلا فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى-

ولابد للعقل من تربية إسلامية كذلك، تستهدف أن تعلمه كيف يفكر وكيف ينظر وكيف يتدبر ليصل بذلك إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه

---

(١) أشرنا إلى ذلك ونحن نتحدث عن ميادين التربية الإسلامية فى مدخل هذا الكتاب.

ورسله، واليوم الآخر والقضاء والقدر، والاهتداء بما فى الكون من مخلوقات وسنن، فإذا اهتدى العقل حيل بينه وبين الشرود والجنوح والضلال، والتخبط فى ظلمات الحيرة فى الدنيا ليضل عن الحق فيخسر الآخرة كذلك.

ولابد أن يربى الجسم تربية إسلامية تضبطه مع أحكام شرع الله فيمارس ما أحل الله، ويجتنب ما حرّم.

ومطالب الجسم من شهوتى البطن والفرج هى التى توقع الإنسان فى الحرام، فلولم يرب تربية إسلامية عصى ربه فاستحق العقاب.

والأصل فى التربية الإسلامية أن تساعد الإنسان على هجر ما يغضب الله تعالى، وأن يقبل على ما يرضيه سبحانه وتعالى، وما يغضب الله تعالى هو:

الشرك، بعبادة غير الله أو بعبادة آلهة متعددة.

والكفر، وهو جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة.

والفسوق، وهو ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها.

والعصيان، وهو الخروج عن طاعة الله تعالى.

وما يرضى الله تعالى هو:

التوحيد، بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

والالتزام، بالمنهج، وهو توفر أركان الإسلام كلها.

والطاعة، وهى الاستجابة لأمر الله تعالى ونهيه.

وذلك هو الذى عبّرت عنه آيتان اثنتان فى القرآن الكريم، هما قوله تعالى: **﴿ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين﴾**.

﴿ولاتجعلوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين﴾[1].

أى سارعوا إلى طاعة الله باتباع أمره واجتناب نهيه، وإيثار ما عنده على ما عند غيره، والإقبال عليه بالعمل الصالح وحب الخير للناس، ولاتجعلوا مع الله آلهة أخرى تشركونها فى العبادة وتؤثرون باطلها على الحق.

إن تربية الروح تربية إسلامية تستهدف أن تتعلم هذه الروح كيف تحسن صلتها بالله عن طريق التعبد له والتذلل، والطاعة والاستسلام لمنهجه، وذلك أصل أصيل فى تربية الروح.

وإن إهمال تربية الروح أو التقصير فيها إفساد للإنسان كله روحه وعقله وجسده وكيانه الاجتماعى كله، لأن الروح -كما قلنا أهم ما فى الإنسان- وما دمنا قد قلنا إن الروح قد تكون بمعنى القلب، فإن صلاح القلب صلاح للإنسان وفساده فساد له، وذلك هو الكلم الطيب الذى قاله المعصوم ﷺ، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، لايعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**» ورواه الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة.

لهذا يجب أن تربَّى هذه الروح تربية إسلامية ليصلح بهذه التربية الإنسان كله، فإذا انصلح الإنسان انصلح المجتمع.

---

(١) سورة الذاريات: ٥٠ - ٥١.

وأما كيف تربى هذه الروح؟

فذلك هو موضوع هذا الكتاب، حيث نفصل ذلك ونوليه من العناية ما هو جدير به.

ونشير هنا إلى مجمل ما يجب أن تتضمنه التربية الروحية على النحو التالي:

– أن يكون لهذه الروح أوراد وأذكار ونظام.

– وأن تُدرَّب وتُعلَّم وتراض على ما يقوى صلتها بالله تعالى.

– وأن تلتزم سمت المؤمنين في الصمت والقول والفعْل والترك ولكل واحدة من هذه النقاط المجملة شرح وتفصيل، ونسأل الله تعالى العون والسداد .

الفصل الثانى

دعائم التربية الروحية ويشمل:

١ - الأذكار والأوراد والأدعية وآدابها.

٢- والتربية العملية للروح وهى:

(أ) أداء الفرائض مع حضور القلب.

(ب) والإكثار من أداء النوافل.

(حـ) وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(ء) ومحاولة الوصول إلى منزلة الإحسان.

(هـ) والممارسة لأعمال الدعوة إلى الله.

(و) وممارسة لقاءات ليلية للعبادة.

(ز) وزيارة القبور.

٣ - والتزام سمت المؤمنين، وذلك بما يلى:

(أ) قوة الإحساس بوجود الله تعالى.

(ب) والشعور بمراقبة الله لنا.

(حـ) وضرورة مراقبتنا نحن لله تعالى.

(د) والتقرب إلى الله بالنوافل.

(هـ) والإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم.

(و) وحب الله والثقة فيه وفى بره بنا واستجابته لنا.

(ز) والرضا بقضاء الله وقدره.

١ - الأذكار والأوراد والأدعية

الأذكار جمع ذكر وهو: الصلاة لله والدعاء إليه.

والذكر هنا ذكر الله تعالى بتسبيحه وتحميده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا، بشرط حضور القلب.

والذكر نوعان:

ذكر بالقلب.

وذكر باللسان.

وكلاهما مطلوب لتجلية الروح وتصفيتها من الشوائب.

والأوراد جمع ورد وهو: الذكر، فهو مرادف له، أو هو الجزء من الليل يكون على الإنسان أن يصليه أو يحييه بالعبادة، أو هو النصيب من القرآن الكريم.

أو هو الوظيفة التى يوظفها الإنسان على نفسه من قراءة فى القرآن الكريم.

وهو ضرورى لتصفية الروح أو القلب عن الشوائب التى تَرِينُ عليها.

والأدعية جمع دعاء وهو: فى هذا المجال سؤال الله أو الاستغاثة به.

وكل هذه الأذكار والأوراد والأدعية مطالب شرعية لما لها من أثر فى تقريب الإنسان من ربه، وتنقية روحه وقلبه مما علق بها من وسوسات الشياطين.

وقد أمر الله تعالى بالذكر أمراً فى بعض آيات القرآن الكريم، وحبب فيه فى بعضها، وأثنى على الذاكرين فى بعضها وكذلك فعل الرسول ﷺ.

وآيات القرآن الكريم فى هذا المجال كثيرة نذكر منها:

– قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾[1]. وذلك فى مجال الجهاد فى سبيل الله، حيث طالب المجاهدين، بل أمرهم بأمرين:

– الثبات أمام العدو.

– وذكر الله كثيرا من أجل أن يفلحوا.

– وقوله جل شأنه: ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا**﴾[2].

فالآية الكريمة تخبر خبرا مؤكدا أن الاقتداء بالرسول ﷺ، عمل من اتصف بصفتين عظيمتين هما:

– رجاء رحمة الله ونعيم اليوم الآخر.

– وذكر الله كثيرا خوفا ورجاء.

– وقوله سبحانه: ﴿**يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا**﴾[3].

هاتان الآيتان الكريمتان أمر مباشر بشيئين من الذكر هما:

– الثناء على الله بضروب الثناء والإكثار من ذلك.

– وتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به سبحانه.

وهذا الأمر ينبغى أن يكون فى أول النهار وآخره أى دائما.

---

(١) سورة الأنفال: ٤٥.
(٢) سورة الأحزاب: ٢١.
(٣) سورة الأحزاب: ٤١ – ٤٢.

- وقوله عز وعلا: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾**[1].

وفى الآية الكريمة توجه بالانتشار فى الأرض بعد أداء فريضة الجمعة أى ممارسة الأمور العادية بعد العبادة.

وتتضمن الآية الكريمة ثلاثة أوامر هى:

- الانتشار فى الأرض أى السعى على المصالح عامها وخاصها.

- وطلب فضل الله فيما يسعون فيه.

- وذكر الله كثيرا بالقلب واللسان، لعل ذلك يجعل هؤلاء الذاكرين يفلحون أى يفوزون بخيرى الدنيا والآخرة.

- وقوله تعالى فى وصف عباده الصالحين بصفات عظيمة جليلة القدر من تحلى بها أفلح وفاز، وهذه الصفات هى عشر من حيث العدد، لكنها من حيث ما يرضى الله تعالى أكثر من أن تحصى وتلك الصفات هى:

* إسلامهم وخضوعهم لله وانقيادهم لمنهجه.

* وإيمانهم به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

* وقنوتهم أى قيامهم بالطاعات.

* وصدقهم فى النية والقول والعمل.

* وصبرهم على تحمل المشاق فى سبيل الله تعالى.

* وتواضعهم لله تعالى، ولأهل الصلاح من الناس.

---

(١) سورة الجمعة: ١٠.

* والتصدق من مالهم على المحتاجين.

* بصومهم الفريضة والنافلة تقرباً إلى الله.

* وحفظهم فروجهم مما لايحل لهم.

* وذكرهم الله كثيرا بقلوبهم وألسنتهم.

من كانوا على هذه الصفات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما.

وذلك في الآية الكريمة **﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾**[1].

ومما هو جدير بأن يلحظ في هذه الآيات الكريمة التي ذكرنا من القرآن الكريم أن الذكر فيها وصف أو قيد بأنه كثير وأنه غير مقيد بزمان ولا مكان ولاظرف بعينه، وإنما هو مطلوب دائما وعلى كل حال، بينما العبادات الأخرى كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها لم تقيد بأنها يجب أن تكون كثيرة، وذلك لأنها عبادات بدنية موقوتة بزمن معين ومكان معين، وهي بذلك قد يصعب على الإنسان أن يكثر منها مع انشغاله بأمور حياته اليومية من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وسعي في الأرض، أما الذكر فهو عبادة غير بدنية فلا صعوبة في الإكثار منه.

والذكر مطلوب على كل حال، وتردده في جميع الأحوال يوحي أيضا بأنه مطلوب كثيرا، قال الله تعالى: **﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى**

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

جنوبهم﴾[1]. أى دائما أى كثيرا.

هذه بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن الذكر، وما طالبت به كثيرا إلا لما له من فائدة فى تربية الإنسان وروحه وقلبه ولسانه وحاله كله.

وكذلك كان شأن السنة النبوية مع الذكر، فقد جاء فيها عشرات الأحاديث التى تحث على ذكر الله، وتحبب فيه، وتوضح آثاره الطيبة فى الدنيا والآخرة، بل توضح آثار تركه وهجره وما يحدثه ذلك من حسرة وندامة.

ونسوق من هذه الأحاديث النبوية الشريفة ما يلى:

- روى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنه رأس كل شىء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك فى السماء، وذكرك فى الأرض**».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، ذكر الله**».

- وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن بسر رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**لايزال لسانك رطبا من ذكر الله**» ورواه ابن ماجة والحاكم وابن حبان بأسانيدهم عن عبدالله بن بسر رضى الله عنه أيضا.

- وروى ابن حبان والبيهقى والطبرانى بأسانيدهم عن معاذ رضى الله عنه

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله**».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً أو متعلما**».

– وروى الإمام أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله**».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل البيت الذى يذكر الله فيه، والبيت الذى لايذكر الله فيه مثل الحيّ والميت**».

– وروى النسائى بسنده من جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة:**

ملاعبة الرجل امرأته.

وتأديب الرجل فرسه.

ومشى الرجل بين الغرضين.

وتعليم الرجل السباحة».

والغرضان مثنى غرض وهو الهدف، ومعناه تعلم الرجل إصابة الهدف تدربا على الجهاد فى سبيل الله، ويعزز ذلك أن الحديث ورد فى رواية أخرى وفيه «ورميه بقوسه» وهى رواية الترمذى وابن ماجة والدارمى فى باب الجهاد.

– وروى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة، تامّة تامّة، تامّة».

– وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تره، ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»**.

وبعد:

فهذه الأحاديث النبوية التى ذكرنا، قليل من كثير مما جاء فى السنة النبوية من الأمر بالذكر والحث عليه، وبيان فضله، والتنفير من تركه، بل التنفير من أى مجلس يجلسه المسلم ثم يقوم منه دون ذكر الله، حيث يكون هذا المجلس حسرة وندامة يوم القيامة على كل من جلس فيه ولم يذكر الله تعالى.

بل إن علماء الحديث النبوى عقد كثير منهم باباً فى كتابه تحت عنوان: فضل الذكر والدعاء، ذكروا فيه أحاديث نبوية عديدة، وبعضهم عقد باباً لفضل أذكار بعينها.

ومن مجموع هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى ذكرنا يتبين لنا أن المسلم لايستطيع أن يغفل عبادة الذكر والدعاء مما يدل على أهمية الذكر لله تعالى فى حياة المسلم.

ومن أجل أن الأذكار والأوراد والأدعية عبادة مطلوبة بكل حال، ومطلوبة كثيرا أكثر من أى عبادة أخرى، فإن أسلافنا من علماء الحديث النبوى، والفقهاء ألفوا فى الأذكار كتبا برأسها.

ومن هؤلاء:

١ – الإمام النسائى صاحب السنن (٢١٥ – ٣٠٣هـ).

في كتابه: عمل اليوم والليلة.

٢ - وابن السنى الدينورى المتوفى (٣٦٤هـ)

في كتابه: عمل اليوم والليلة وهو أجمع من كتاب الإمام النسائى وأشهر.

٣ - والإمام الحافظ المنذرى المتوفى (٦٥٦هـ)

في كتابه: عمل اليوم الليلة.

٤ - والإمام ابن تيمية المتوفى (٧٢٨ هـ)

في كتابه: الكلم الطيب.

٥ - ومحمد بن محمد الجزرى (٧٥١ - ٨٣٣ هـ)

في كتابه: مفتاح الحصن الحصين.

٦ - وعبد الرحمن البسطامى المتوفى (٨٥٨ هـ)

في كتابه: الفوائح المسكية فى الفواتح المكية.

٧ - والإمام السيوطى المتوفى (٩١١ هـ)

في كتابه: تحفة الأبرار بنكت الأذكار.

٨ - وابن علان الصديقى المتوفى (١٠٥٧ هـ)

في كتابه: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية وهو أكبر شروح الأذكار النووية.

ومن أهم هذه الكتب وأشيعها عند الناس ما ألفه الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (٦٣١ - ٦٧٦هـ) وهو كتابه: الأذكار النووية

وله اسم طويل هو: «حلية الأبرار، وشعار الأخيار فى تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة فى الليل والنهار».

ولأنى سوف أنقل بعض هذه الأذكار والأدعية عن كتاب النووى: الأذكار، أود أن أنقل عنه كلمات مما جاء فى مقدمة الكتاب تكشف عن هدفه من التأليف وتبين قيمة هذه الأذكار فى حياة المسلم، يقول:

«وقد صنف العلماء رضى الله عنهم فى عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتبا كثيرة معلومة عند العارفين ولكنها مطولة بالأسانيد والتكرير، فضعفتْ عنها همم الطالبين، فقصدت تسهيل ذلك على الراغبين، فشرعت فى جمع هذا الكتاب مختصرا مقاصد ما ذكرته تقريبا للمعتنين..

فأردت مساعدة أهل الخير بتسهيل طريقه، والإشارة إليه، وإيضاح سلوكه والدلالة عليه..

وأقتصر فى هذا الكتاب على الأحاديث التى فى الكتب المشهورة التى هى أصول الإسلام وهى خمسة:

«صحيح البخارى»،

و«صحيح مسلم»،

و«سنن الترمذى»،

و«سنن أبى داود»،

و«سنن النسائى»، وقد أروى يسيرا من الكتب المشهورة، وغيرها»[1].

بل إن بعض العلماء اعتبروا الأذكار والأوراد والأدعية علماً قائما بذاته

---

(1) الإمام النووى: الأذكار منشورات دار الملاح بدمشق ١٣٩١ - ١٩٧١م بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

متفرعا عن علم الحديث النبوى الشريف، كما صنع أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (٩٠١ - ٩٦٨ هـ) فى فهرسه الموسع: «مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم» فقال عن علم الأذكار:

«هو علم يبحث فيه عن الأدعية المأثورة والأوراد المشهورة بتصحيحها وضبطها، وتصحيح روايتها، وبيان خواصها وعدد تكرارها، وأوقات قراءتها وشرائطها..

والغرض منه -أى من هذا العلم- معرفة تلك الأدعية والأوراد على الوجه المذكور لينال باستعمالها الفوائد الدينية والدنيوية»[(١)].

وهذه الأذكار والأوراد والأدعية، تناولت كل ما يمارسه الإنسان من عمل فى اليوم والليلة، ابتداء من استيقاظه من نومه إلى أن ينام، سواء أكانت أعماله عبادات أو أمورا حياتية، وكل ذلك وردت فيه أحاديث نبوية شريفة.

وقد بوب بعض العلماء هذه الأذكار والأوراد والأدعية أبوابا كثيرة مثل:

- الأذكار فى تلاوة القرآن الكريم.
- والأذكار فى حمد الله والصلاة على رسولهﷺ .
- والأذكار فى الأمور العارضات.
- وأذكار المرض والموت.
- والأذكار فى الصلوات المخصوصة.
- وأذكار الحج.
- وأذكار الجهاد.

---

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة... ٥٩٥/٢ - ٥٩٦ ط دار الكتب الحديثة مصر.

- وأذكار السفر .
- وأذكار الطعام والشراب .
- وأذكار السلام، والاستئذان وتشميت العاطس .
- وأذكار حفظ اللسان .
- وأذكار الاستغفار.

وبوبوا بابا جامعا سموه: «باب جامع الدعوات» جمعوا فيه آداب الدعاء وأنواعه واستجابة الله تعالى له.

وأما آداب الأذكار والأوراد والأدعية، فكثيرة تحدث فيها العلماء وأسهبوا، غير أن ما كتبه الإمام النووى فى ذلك فيه غناء ولذلك رأيت أن أستعين به فى التعرف على تلك الآداب فأقول وبالله التوفيق:

١ - وجوب الإخلاص لله تعالى فى الذكر وفى كل عمل بدليل ما رواه البخارى بسنده من عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

٢ - وينبغى لمن بلغه شىء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة ليكون من أهله، لقوله ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم وأئمة الحديث: «**وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم**» رواية مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٣ - وقال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف مالم يكن شديد الضعف أو موضوعا.

٤ - والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا.

٥ - وفضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كما قاله سعيد بن جبير وغيره من العلماء، وقال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام....

٦ - وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجُنب والحائض والنفساء، وذلك فى التسبيح والتهليل والتكبير، والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك.

ولكن قراءة القرآن الكريم حرام على الجنب والحائض والنفساء سواء قرأ قليلا أو كثيرا ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير لفظ.

٧ - وينبغى أن يكون الذاكر على أكمل الصفات وقورا خاشعا متذللا لله تعالى، وذلك هو الأفضل.

٨ - وينبغى أن يكون الموضع الذى يمارس فيه ذكر الله نظيفا خاليا (أى مما يشغل الذاكر)، ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة.

٩ - ويكره الذكر فى حالة قضاء الحاجة، وفى حالة الجماع، وفى حالة الاستماع إلى الخطيب وحالة النعاس...

١٠- والمراد من الذكر حضور القلب، فليحرص الذاكر على ذلك بتدبر ما يذكر الله به وتعقله ومعرفة معناه.

١١- ومن كانت له فى الذكر وظيفة فى وقت من ليل أو نهار أو عقيب صلاة ففاتته أن يتداركها ويأتى بها إذا تمكن منها، فقدروى مسلم بسنده عن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**».

١٢- ويستحب فى الذكر الجلوس فى حلق أهله، فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة يارسول الله؟ قال: حلَق الذكر، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم**».

١٣- وقد أثنى رسول الله ﷺ على الذاكرين الله كثيرا والذاكرت وسماهم: المفردون، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**».

١٤- والأذكار المشروعة فى الصلاة وغيرها، واجبةً كانت أو مستحبة لايحسب شىء منها ولايعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له.

وبعد فتلك آداب الأذكار والأوراد والأدعية التى إذا توفرت فيها كانت أفضل وأحظى بالقبول عندالله إن شاء الله.

وهذه الأذكار هى أولى دعائم التربية الروحية للمسلم، وهى تربية تقوم -كما قلنا- على حضور القلب والتلفظ باللسان وهى تسهم فى تصفية روح المسلم من الشوائب والعوالق التى تحول بين الإنسان والقرب من الله.

ولكى تكتمل فى نظرى صورة الأذكار لابد من ذكر نماذج منها، ليكون

المسلم على علم بصيغها – والله الموفق-.

نماذج من الأذكار والدعوات :

جمعت هذه النماذج من كتاب: «سنن الترمذى» وهو الجامع الصحيح وهو من الكتب المشهورة فى الحديث النبوى، ويعد من الكتب الخمسة التى وصفها العلماء بأنها أصول الإسلام، وقد اخترت منه هذه الأحاديث فى الذكر والدعاء.

وقد بوبها تحت عنوان «أبواب الدعوات» عن رسول الله ﷺ، وسوف أذكر منها ما يلى:

١ – روى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ: ﴿**وقال ربكم ادعونى أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين**﴾[1].

٢ – وروى بسنده عن الأغر أبى مسلم أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى –رضى الله عنهما– أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّتْ بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

٣ – وروى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كفَّ عنه من سوء مثله، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم**».

وفى مجالات الحياة كلها هناك أذكار ودعوات نذكر منها مايلى:

فى دعاء الصباح والمساء:

٤ – روى الإمام الترمذى بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: «**بسم الله**

(١) سورة غافر: ٦٠.

الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شىء».

٥ - وروى بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له: «**ألا أدلك على سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأعترف بذنوبى فاغفر لى ذنوبى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت. لايقولها أحدكم حين يمسى فيأتى عليه قدر قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولايقولها حين يصبح فيأتى عليه قدر قبل أن يمسى إلا وجبت له الجنة»**.

* وفى الدعاء إذا أوى لفراشه

٦ - وروى بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له: «**ألا أعلمك كلمات تقولها إذا أويت إلى فراشك، فإن مُتّ من ليلتك مُتّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبحت وقد أصبت خيرا؟ تقول اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، رغبة ورهبة إليك، وألجأت ظهرى إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت»**.

قال البراء: فقلت: وبرسولك الذى أرسلت؟ قال: فطعن بيده فى صدرى ثم قال: ونبيك الذى أرسلت».

* وفيما يقرأ من القرآن عند المنام:

٧ - وروى بسنده عن عائشة رضى الله عنها «أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشة كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع

من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات».

* وفى التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة وعند النوم.

٨- وروى بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: **قال رسول الله ﷺ: «خلتان لايحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة. ألاوهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله فى دبر كل صلاة عشرا، ويحمده عشرا، ويكبره عشرا، قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده قال: فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة، فتلك مائة باللسان، والألف فى الميزان، فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفى وخمسمائة سيئة؟ قالوا: فكيف لانحصيها؟ قال: يأتى أحدكم الشيطان وهو فى صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا، حتى ينفتل، فلعله أن لايفعل، ويأتيه وهو فى مضجعه فلايزال ينومه حتى ينام»**.

* وفى الذكر والدعاء إذا انتبه من الليل :

٩- وروى بسنده عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: :« **من تعارّ من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لى، أو دعا استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته»**.

* وفيما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة:

١٠- وروى بسنده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: **اللهم لك الحمد أنت نور**

السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، واليك أنبت، وبك خاصمت، واليك حاكمت، فاغفر لى ماقدمت وما أخرت، وماأسررت وما أعلنت، أنت إلهى لاإله إلا أنت».

* وماجاء فيما يقول فى سجود القرآن:

أى سجدة التلاوة.

١١- وروى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**كان النبى ﷺ يقول فى سجود القرآن بالليل: سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته**»

* وفيما يقول إذا خرج من بيته :

١٢- وروى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ : من قال: يعنى إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان»**.

* وفيما يقول إذا دخل السوق:

١٣- وروى بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»**.

* وفيما يقول إذا رأى مبتلى :

١٤- وروى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به،**

وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا، إلا عوفى من ذلك البلاء كائنا ماكان ما عاش».

* وفيما يقول إذا قام من مجلسه :

١٥- وروى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لاإله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ماكان فى مجلسه ذلك»**.

* وفيما يقول عند الكرب :

١٦- وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نبى الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: **«لا إله إلا الله الحليم الحكيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إلا إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم»**.

* وفيما يقول من نزل منزلا :

١٧- وروى بسنده عن خولة بنت حكيم السلمية رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»** .

وفيما يقول من خرج مسافرا :

١٨- وروى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فركب راحلته قال **بإصبعه ومد شعبة إصبعه قال: اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم أصبحنا بنصحك وأملنا بذمة، اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبه المنقلب»**.

* وفيما يقول إذارجع من سفره .

١٩- وروى بسنده عن البـراء بن عـازب رضى الله عنه أن النبى ﷺ كـان إذا قدم من سفر قال: «**آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون**».

* وفيما يقول إذا ودع إنسانا .

٢٠- وروى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «**كان النبى ﷺ إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو يدع يد النبى ﷺ ويقول: أستودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك**».

٢١- وروى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: «**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: إنى أريد سفرا فزودنى، قال: زودك الله التقوى، قال، زدنى: قال: وغفر ذنبك، قال زدنى بأبى أنت وأمى: قال ويسر لك الخير حيث ماكنت**».

* وماجاء فيما يقوله من ركب دابة :

٢٢- وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: شهدت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله فى الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين، وإنا إلى بنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله ثلاثا، الله أكبر ثلاثاً، سبحانك إنى قد ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقلت من أى شىء ضحكت ياأمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت من أى شىء ضحكت يارسول الله؟ قال: إن ربك ليعجب من عبده إذاقال: رب اغفر ذنوبى إنه لايغفر الذنوب غيرك».

* وفيما يقول إذا هاجت الريح

٢٣- وروى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان النبى ﷺ إذا رأى الريح قال : «**اللهم إنى أسألك من خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**».

* وفيما يقول إذا سمع الرعد

٢٤- وروى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال : «**اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك**».

* وفيما يقول إذا رأى الهلال

٢٥- وروى بسنده عن طلحة بن عبيد الله أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : «**اللهم أهلِلْه علينا باليمن والإيمان والسلام والإسلام، ربى وربك الله**».

* وفيما يقول عند الغضب

٢٦- وروى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : استبَّ رجلان عند النبى ﷺ حتى عرف الغضب فى وجه أحدهما، فقال النبى ﷺ: «**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».

* وفيما يقول إذا أكل طعاما

٢٧- وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد، على ميمونة - رضى الله عنها - فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله، فقال لى : الشَّربة لك، فإن شئت آثرت بها خالدا، فقلت: ما كنت أوثر

على سُؤْرك أحدا، ثم قال رسول الله ﷺ : «**من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**»، وقال رسول الله ﷺ «**ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن**».

* وفيما يقول من فرغ من الطعام

٢٨- وروى بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفعت المائدة من بين يديه يقول : «**الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مُوَدَّع ولا مستغنى عنه ربَّنا**».

٢٩ - وروى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا أكل أو شرب قال : «**الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»

* وما جاء فى انتظار الفرج

٣٠- وروى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج**».

وبعد.. فلعل هذه الأذكار والأدعية التى ذكرتها فى بعض المواقف، تغرى القارئ بالتعرف على هذه الأذكار والأدعية فى كتب السنة النبوية المطهرة، ففيها أبواب للدعاء أو الدعوات، أو كتب الأذكار والدعوات التى أشرنا إليها آنفا فإن روح المسلم لا تربى على شيء بمثل ما تربى على النظر والتأمل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فكيف تربَّى هذه الروح عمليا؟

ذلك ما نأمل فى توضيحه فيما يلى، والله المستعان.

٢ - التربية العملية للروح

تُعَد التربية العملية للروح هى الميدان الذى تتحرك فيه فتفيد من كل حركة فائدة كبرى، تقربها إلى الله تعالى وتعمق صلتها به سبحانه.

* والتربية العملية للروح تطبيق وتنفيذ للجانب النظرى من تربيتها، وقد سبق لنا أن قلنا : إن الجانب النظرى لتربية الروح هو التفكر والتدبر، والنظر فى ملكوت الله تعالى، والسير فى الأرض لأخذ العظة والعبرة من أخبار الذين مضوا..

ونقول هنا: إن الجانب العملى لتربية الروح هو ممارسات وأعمال وخبرات وتجارب تمر بها الروح عمليا، لتتزكى وتزداد صفاء، فتقترب من الله تعالى وتقبل عليه بما يحب.

* والمسلمون يعلمون من تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن العمل والممارسة هما ترجمان الإيمان، بشرط أن يكون هذا العمل صالحا، وأن معنى صلاحه أن يكون مما أمر الله به أو ندب إليه، ولذلك كانت تربية الروح عمليا هى دفعها لممارسة العمل الصالح وفعل الخير.

* وليس يربى الروح عمليا مثل الاستجابة لكل ما أمر الله تعالى به، ولكل ما طالبنا به رسوله الخاتم محمد ﷺ، وما أمر الله تعالى ولا طلب رسوله منا إلا الخير لنا ولغيرنا من الناس: خيرى الدنيا والآخرة.

* وجملة ما أمرنا به وطولبنا بعمله لتصح لنا الدنيا والآخرة يمكن أن يصنف فى أمور سبعة هى :

١ - آداء الفرائض،

٢ – والإكثار من النوافل،

٣ – وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،

٤ – والوصول بالعمل إلى منزلة الإحسان،

٥ – وممارسة أعمال الدعوة إلى الله،

٦ – وممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل،

٧ – وزيارة القبور.

وكل واحدة من هذه السبعة تنضج الروح وتربيها على الحق وعلى الهدى، وتزيدها صفاء ونقاء، وتقربها من الله تبارك وتعالى ولكن ذلك كله مشروط بحضور القلب أثناء الممارسة.

* وحضور القلب مصطلح فى تربية الروح يعنى طرد الخواطر التى تشغل الإنسان عن عبادة ربه سبحانه وتعالى.

وهذه الخواطر التى يجب طردها ودفعها نوعان – كما قال الأسلاف من العلماء رحمهم الله – :

– شواغل خارجية، أى تأتى للإنسان من خارج نفسه وهى : المرئيات والمسموعات، وهذه تُتجنب بغض البصر عنها، ومنع السمع عن الانتباه إليها. والخلوات أثناء العبادة هى العلاج لكف الصبر والسمع عن تلك الشواغل.

– وشواغل داخلية، أى تأتى للإنسان من داخل نفسه وعقله، بسبب تعلقه الشديد بالحياة الدنيا وأسبابها، وهذه تُتَجنب بصرف الروح عن التعلق الشديد بهذه الحياة الدنيا، ويكفى التعلق الذى تقوم به الحياة المرضية لله تعالى، مع التفكر فى الحياة الآخرة وما فيها، وتذكر الموت دائماً.

* وسوف نحاول أن نفرد لكل واحدة من هذه السبعة حديثا وجيزا يلقى عليها من الضوء ما يوضح أهميتها ومكانتها فى تربية روح الإنسان وقلبه، والله المستعان.

* غير أنى أنبه إلى حقيقة فى هذا المجال وهى أن حصر وسائل التربية العملية للروح فى هذه السبعة اجتهاد منى أرجو أن يأجرنى الله عليه بما يشاء، وليس يمنع اجتهادى هذا عن أن تكون هناك وسائل أخرى ذات أهمية وفعالية فى تربية الروح.

وعلى سبيل المثال : فإن تلاوة القرآن والتدبر فيه من أهم الوسائل فى تربية الروح، وهى عالم مترامى الأبعاد ولا يتسع له هذا الكتاب، فضلا عن هذا الفصل من الكتاب.

وكذلك شأن السنة النبوية بمعناها الواسع الذى يدخل فيها السيرة النبوية، فهذا عالم فسيح فى تربية الروح، لا نستطيع أن نستوعبه فى هذا المجال.

وإلى الحديث عن هذه الوسائل العملية فى تربية الروح.

أولاً: أداء الفرائض

فرض الله تعالى علينا الفرائض لما يصلح لنا ديننا ودنيايا، وطالبنا بأن نؤدى هذه الفرائض، ونهانا عن أن نضيعها.

* وفرض الله علينا كذا... أى أوجب علينا العمل به، كالمعنى للفرض من قوله تعالي: «**سورة أنزلناها وفرضناها**»[1] وفي قوله: «**إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**»[2] وهو الوجوب.

* وكل ما فرض الله علينا لا يجوز لنا أن نضيعه بحال، فقد روى الحاكم في مستدركه بسنده عن ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالي ذكره قد فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدَّ حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**». وراه الدار قطني، كما رواه النووى فى الأربعين حديثا.

* والفرائض والشرائع والحدود والسنن هى الإيمان نفسه، فقد روى البخارى بسنده عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عُدىّ بن عدىّ: «إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان».

* والفرائض كذلك هى مفردات الإسلام وأسهمه، فقد جاء فى تفسير قوله تعالى: «**يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان**»[3] قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية: «الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم،

---

(١) سورة النور: ١.

(٢) سورة القصص: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٨.

والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهى عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له»[1].

* وفرائض الإسلام وشرائعه وحدوده كثيرة، يمكن إجمالها فى القول بأنها تتناول العمل بكل ما أمر الله تعالى به، واجتناب كل ما نهى عنه، ويدخل فى ذلك ما أمر به الرسول ﷺ وما نهى عنه، لأنه المبلغ عن ربه، وله أن يأمر بما أوحى الله إليه من غير القرآن الكريم.

وعلى سبيل المثال: فقد أمر رسول الله ﷺ بالجماعة والسمع والطاعة وغيرها.

فقد روى الترمذى والنسائى والبخارى فى تاريخه وابن حبان وأحمد والحاكم بأسانيدهم عن الحارث بن الحارث الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأوحى الله إلى عيسى: إما أن يبلغهن أو تبلغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال له: يا روح الله، إنى أخشى إن سبقتنى أن أعذب أو يخسف بى، فجمع بنى إسرائيل فى بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفات فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن.**

وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، ثم أسكنه دارا، فقال: اعمل وارفع إلىّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا.

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣/٢ ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر: القاهرة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧.

وأمركم بالصلاة: وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه على عبده ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام: ومثل ذلك كمثل رجل معه صُرّة مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة: ومثل ذلك كمثل ذلك رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدى نفسى منكم؟ فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله كثيرا: ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى أثره، فأتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله تعالى.

وأنا آمركم بخمس أمرنى الله بهن:

الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد فى سبيل الله، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم، وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله».

فهذه فرائض فرضها الرسول ﷺ كما أوحى الله تعالى إليه بها، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

* ومن هذه الفرائض ما هو رئيس وأساسى.

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن زياد بن نعيم الحضرمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع فرضهن الله فى الإسلام، فمن جاء بثلاث لم**

يغنين عنه شيئا حتى يأتى بهن جميعا؛ الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت».

* ومن هذه الفرائض ما هو دون ذلك، كبقية ما فرض الله. وإنما كانت هذه الأربع هى الأساس لأنها أركان الإسلام، وأما غيرها فلم توصف بأنها من أركان الإسلام، وإن كانت واجبة لا يجوز التقصير فى أدائها.

* والتربية العملية للروح:

هى أن يلتزم الإنسان بأداء هذه الفرائض جميعا، لأنه لا يغنى بعضها عن بعض ولا جلها عن كلها، كما فهمنا هذا من حديث الرسول ﷺ الذى ذكرناه آنفا.

* ومما فرضه الله على عباده: الطهارة.

روى الترمذى بسنده عن على رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور**».

روى مسلم بسنده عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»

وقد جعل العلماء والمربون المسلمون الطهارة أربع مراتب:

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث، وعن الأخباث والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

والثالثة: تطهير القلب- الروح- عن الأخلاق الذميمة والرذائل الممقوتة.

والرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وطهارة الصديقين.

* والطهارة فى كل مرتبة من هذه المراتب عمل مطلوب من المسلم ليتقبله الله ويتقبل منه أعماله.

* وهذه الطهارة بمراتبها الأربعة تربية للروح وتطهير لها مما يعلق بها أحيانا من أدران، ومن أجل هذا فرض الله تعالى الطهارة لاستباحة الصلاة ولمس المصحف الشريف وغير ذلك مما شرع الله تعالى لعباده.

* وكذلك الشأن فى فريضة الصلاة:

فهى تربى الروح والقلب والجوارح على الابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغى، لقوله تعالى: «**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر..**»[1].

* وبحسب المسلم أن يتأمل فى نعمة الله علينا بالصلاة، ليجد أنه سبحانه قد شرعها لنا وفرضها علينا ليفتح لنا بها باب الوقوف بين يديه، ويزيل بيننا وبينه الحجاب، ويمكننا من مناجاته بما تضمنته من أقوال، فى خلواتنا وفى جماعاتنا.

* والصلاة عماد الدين وعموده، وهى رأس القربات إلى الله تعالى، ومن فائدتها للروح والقلب أنها تغسل الذنوب والخطايا، ومع تكرارها يتكرر غسل الذنوب.

روى الإمام مسلم بسنده عن جابر رض الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا شى، قال صلى الله ﷺ: فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن**».

- وروى الإمام مسلم بسنده عن عثمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

الله ﷺ يقول: «**ما من أمرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وكذلك الدهر كله**».

* والصلاة المكتوبة فى جماعة هى الأصل وهى أفضل ثواباً من صلاة الإنسان وحده فى بيته أو سوقه خمسا وعشرين أو سبعا وعشرين مرة.

– روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى صلاة ما لم يحدث: اللهم صلى عليه اللهم ارحمه، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة**».

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ فقد ناسا فى بعض الصلوات، فقال: «**لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم**».

– وروى أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التى صلى**».

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى النبى ﷺ رجل أعمى[1] فقال: يا رسول ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له يصلى فى بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: **هل تسمع**

(١) هذا الرجل هو عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه، وهو رجل من قريش وهو الذى نزل فيه قوله تعالى: «عبس وتولى أن جاءه الأعمى».

النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب»

– وروى الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة»**.

* وكذلك الشأن فى فريضة الزكاة:

فهى تربية جيدة للروح والقلب لأنها تتضمن معانى تربوية عميمة منها مانشير إليه فيما يلى:

– أنها امتحان من الله لعباده المؤمنين فى أموالهم التى يحبون، ليؤدوا منها حق الله وحق العباد من فقراء ومساكين.... إلخ فمن أدى نجح فى هذا الامتحان وأجدت معه هذه التربية.

– وأنها تطهر النفس من صفة بخل – وهو إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود، وتطهير لها من الشح –وهو البخل مع الحرص فيما كان عادة– فمن أدّاها فقد برئ من هذين المرضين.

– وأنها تطهير للمال بإخراج حقوق الناس منه.

– وأنها فرصة لشكر الله على نعمة المال.

– وأنها تزكية للنفس ورفع لقدرها عند الله، إذ تتقرب إلى الله تعالى بأداء ما فرض عليها.

* وحسب الزكاة أهمية وعلو منزلة أن الله تبارك وتعالى قرنها بالصلاة فى معظم الآيات القرآنية التى وردت فيها الزكاة.

- قال الله تعالى: «**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**»[1].

فهي -كما تدل على ذلك الآية الكريمة- تحدث في نفس المزكّي أثرين هامين:

أولهما: أنها تطهره من الذنوب ومن العيوب كالبخل والشح.

والآخر: أنها تزكي الإنسان وترفع درجته عند الله.

- وروى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث أحلف عليهن:**

*** لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة.**

*** ولا يتولى الله عبدا في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة.**

*** ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله عز وجل معهم**».

قال عروة بن الزبير راوى الحديث عن عائشة رضى الله عنها:

«**والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا آثم: لا يستر الله عبدا في الدنيا إلا ستره يوم القيامة**».

* وللزكاة شروط وآداب تلتمس في كتب الفقه الإسلامي.

* وكذلك شأن صيام رمضان:

فهو تربية روحية عالية المستوى يتدرب الإنسان فيها على ترك أقوى شهواته شهوة البطن والفرج من أجل إرضاء الله تعالى، ولذلك كان جزاؤه أعظم جزاء، وكان جنة وحصنا للمسلم.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

– ومن المعروف لدى المسلمين أن الصوم ربع الإيمان، لأنه نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان، بهذا وردت أحاديث النبي ﷺ.

– روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: **«الصوم نصف الصبر»**.

– وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصبر نصف الإيمان»**.

* وأجر الصيام أعظم أجر أو لا يضاهيه أجر في الأعمال الصالحة كلها، لأن تقدير أجره متروك لكريم سبحانه وتعالى، وهو سبحانه لم يحدد له قدرا معينا كما حدد لسواه من الأعمال.

– روى الطبراني في الأوسط بسنده، والبيهقي في شعب الإيمان بسنده كلاهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الأعمال عند الله عز وجل سبع:**

*** عملان موجبان.**

*** وعملان بأمثالهما.**

*** وعمل بعشر أمثاله.**

*** وعمل بسبعمائة.**

*** وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل.**

*** فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة.**

ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار.

*** ومن عمل سيئة جزى بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها.**

*** ومن عمل حسنة جزى عشرا.**

*** ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضعفت له نفقته: الدرهم بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل».**

* والصوم مدرسة كاملة لتربية الروح، بل الروح والجسد لأنه كف للإنسان عن شهوات بطنه وفرجه، بل كف بصره وسمعه ولسانه وسائر جوارحه عما يغضب الله، كما هو كف للقلب والروح عن هموم الدنيا.

* وكذلك شأن حج بيت الله للمستطيع:

الحج عبادة العمر وتمام الإسلام وكمال الدين، وقد أوجبه الله على المستطيع، وشدد فى أدائه، فقد روى ابن عدى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا**».

* والحج فى حياة المسلم يأتى ثالثا بعد الإيمان والجهاد فى سبيل الله، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أى العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**»، قيل ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**».

– والحج كفارة للذنوب، روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**».

* والحج مدرسة لتربية الروح من أول عمل يقوم به الحاج حتى آخر عمل،

وتبدأ تربية الروح فى الحج بانعقاد النية على أداء الفريضة، والشوق إلى تلك الأماكن التى قدسها الله وأمرنا بالحج إليها، وقطع العلائق المانعة من أدائه، والاستعداد له والإحرام من الميقات ، والتلبية والطواف والسعى والإقامة بمنى والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ورمى الجمار والنحر، وفى كل تحمل شاق بدنية وتحمل لتزاحم الناس على أداء المناسك، وتلك هى التربية العظيمة للروح.

وبحسب الإنسان فائدة من الحج لروحه وقلبه وبدنه أن يلبى الله، وأن يكبره على كل شرف وأن يدعوه، وأن يقدم له الهدى ليطعم منه المسلمون!!

وبحسب الحج أنه يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن، فقد روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن جراد ورضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن**».

* وهكذا تربى الفرائض روح المؤمن وتنقيها وتصقلها وتقربها من الله تبارك وتعالى تربية عملية مسلكية لا يغنى فيها العلم عن العمل ولا النظريات عن التطبيق.

ثانيا: الإكثار من النوافل

النوافل: جمع نافلة وهى الزيادة على الفرض أو الواجب.

* ومن رحمة الله بالمسلمين أن جعل لهم نافلة من جنس كل فريضة فرضها عليهم، ليزدادوا بأدائها قربا من الله تعالى، إذ كلما أقبل الإنسان على النوافل كلما كان موضعا لرضا الله وتوفيقه ونصره، واستجابته لما يطلب منه عبده المتنفل.

- روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قالل: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: مَنْ عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

* ومن أجل توضيح النوافل التى هى من جنس الفرائض نقول وبالله التوفيق:

- النوافل التى هى من جنس فريضة النطق بالشهادتين «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هى ذكر الله بجميع صوره المشروعة، وذلك باب رحمة للمؤمنين.

- والنوافل التى هى جنس فريضة الصلاة كثيرة: منها خمس هى رواتب الصلوات الخمس.

* ومنها ثلاثة وراءها هى: صلاة الضحى، وإحياء ما بين العشاءين والتهجد.

* ومنها صلوات أيام الأسبوع جميعا، أيامه ولياليه.

* ومنها صلاة العيدين.

* ومنها صلاة التراويح أو قيام شهر رمضان.

* ومنها صلاة رجب وشعبان.

ومنها الصلوات العارضة: كصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتا الوضوء، وركعتا ما بين الأذان والإقامة، وركعتا الخروج من المنزل أو دخوله، وصلاة الاستخارة وصلاة التسابيح.

وكل تلك الصلوات تقرب إلى الله يقبله إن شاء ويستجيب لمن قام به من عباده مخلصا له فيه.

- والنوافل التى هى من جنس الزكاة هى الصدقات:

* كصدقة الفطر.

* وصدقات التطوع.

- روى الحاكم بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى الله بين الناس**».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحد، وتصديق ذلك فى**

كتاب الله: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات»[1]، و **«يمحق الله الربا ويربى الصدقات»**[2].

– وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا»**.

* هذه النوافل إذا أُديت بحضور قلب وإخلاص نية لله تعالى كانت طريقا إلى رضا الله تعالى عن عباده الذين يتقربون إليه بالنوافل بعد الفرائض، وإذا أحب الله عبده كان معه يؤيده ويعينه ويوفقه إلى كل ما يصلح له دينه ودنياه.

* وفى أداء النوافل تربية روحية جيدة إذا روعيت عدة اعتبارات نشير إلى بعضها فيما يلى:

– أن تكون هذه النوافل خالصة لوجه الله تعالى.

– وأن تكون هذه النوافل عملا يتكرر فى اليوم أو فى الأسبوع أو فى الشهر حسب كل عبادة.

– وأن تكون هذه النوافل موافقة للسنة وليس فيها من الابتداع شىء.

فذلك تعويد للروح على فعل الخيرات، وإقبال على الله بأداء هذه النوافل، على النحو الذى ذكرنا.

* إن الروح التى تتربى على أداء النوافل، تستطيع أن تمضى فى طريق البذل والتضحية فى سبيل الله، وكلما أثمرت فيها هذه التربية، كلما زاد عطاؤها

---

(١) سورة التوبة: ١٠٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦.

وعظمت تضحيتها من أجل هذا الدين، حتى يكون طلب الشهادة فى سبيل الله أملا لها تعيش راغبة فى تحقيقه.

* وإن الروح التى تُربى على أداء النوافل هى الروح التى تتدرب على الصبر والاحتمال، والتواصى بالصبر فيما يصيبها فى طريق الدعوة إلى الله من متاعب، وما يبث فى هذه الطريق من عقبات وعراقيل.

* وإن أداء النوافل وتكرر هذا الأداء يعود على التسامح وحسن التعامل مع الناس، فالمتنفل يعطى أكثر مما عليه، وبالتالى فهو يأخذ أقل مما له، وتلك هى السماحة التى تضمن لمن يدعو إلى الله أن يجذب المدعوين وأن يؤثر فيهم، ويشجعهم على الانتماء لهذا الدين والالتزام بأحكامه وأخلاقه وآدابه.

ثالثا: ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو لب الدعوة إلى الله وجوهرها، وهو الذى يحفظ للمجتمع استقراره وأمنه، ويشيع فى الناس الرضا والطمأنينة والانصراف إلى أداء الأعمال وتحسينها وتجديدها وجعلها على أحسن مستوى يرضى الله ويرضى الدنيا والآخرة.

* وقد كان ولا يزال وسوف يظل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الذى يقيم على الجادة وعلى الهدى وعلى الصراط المستقيم، فيزيل من بينهم أسباب التعادى والتخاصم، وافتراق الكلمة وذهاب الريح، وهو القادر على أن يجعل الناس إخوة فى الله متحابين متعاونين يذكر بعض من نسى منهم، ويعين بعضهم من كان على ذكر بما أوجب الله.

* ولقد ميز الله الأمة المسلمة بأنها الأمة التى عدها خير أمة أخرجت للناس بسبب ما تمارسه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال تبارك وتعالى: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...»**[(١)].

* وقد أوجب الله على الأمة المسلمة أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وجعل ذلك فى صيغة الأمر، قال الله تبارك وتعالى: **«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»**[(٢)]

والذى يفهم من هذه الآية الكريمة أن يكون من المسلمين على الدوام أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير، بحيث لو تعطل هذا فقدت الأمة المسلمة صفتها.

---
(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

* **وقد** جعل الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفة من صفات المؤمنين والمؤمنات، تقف إلى جانب سائر صفاتهم التى تميزهم عن سواهم كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، تلك الصفات التى تستجلب رحمة الله لهم، قال الله تعالى: «**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة، يطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**»[1].

– الولاية: النصرة والتعاون بعد القرب فى الدين والاعتقاد والولاية بين المؤمنين– كما توحى بذلك الآية الكريمة– تفسر بأمور خمسة تميز المؤمنين عن المنافقين وهى:

* الأمر بالمعروف ،
* والنهى عن المنكر ،
* وإقامة الصلاة ،
* وإيتاء الزكاة ،
* وطاعة الله ورسوله ،

ولهذا الولاء بين المؤمنين والمؤمنات نتيجة وهى أن الله سيرحمهم والسين هنا للتأكيد والمبالغة، ونظائر لما قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ [3] وقوله جل شأنه: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما** ﴾[4] .

---

(١) سورة التوبة : ٧١ (٢) سورة مريم: ٩٦
(٣) سورة الضحى: ٦ (٤) سورة النساء : ١٥٢

* وقد وعد الله ـ ووعده الصدق ـ بأن ينجى الذين ينهون عن المنكر، من عذاب الآخرة، وتوعد الذين ظلموا وفسقوا بترك النهى عن المنكر والسوء، توعدهم بعذاب شديد، يصيبهم بالبؤس، قال الله تعالى: **﴿فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾**[1] .

* وكذلك أمرت السنة النبوية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولم تعف أحدا من أن يمارسهما على قدر استطاعته، ولو كانت تلك الممارسة إنكارا بالقلب، وما ذلك إلا لأن ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تربى روح المسلم على فعل الخير والأمر به، وعلى مقاومة الشر والنهى عنه.

- روى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى- رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**.

* وتوضح السنة النبوية أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل الأنبياء والصالحين من أتباعهم، وأن غير الصالحين يخالفون الصالحين عادة، بل يزيحونهم لو استطاعوا، وأن هؤلاء يقولون ما لايفعلون، ويفعلون مالايؤمرون، ويطالب الرسول ﷺ بجهاد هؤلاء بكل وسيلة ممكنة من الجهاد، بحيث لايعفى أحد من المسلمين من الجهاد إلا إذا كان عاجزا عنه.

وهذه سنة الله فى الأنبياء والمرسلين وفى الأمم التى أرسلوا إليها، وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

- وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة الاعراف : ١٦٥.

«ما من نبى بعثه الله فى أمة من قبلى إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالايؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» .

* وتوضح أحاديث النبى ﷺ أن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، موجب لعقاب الله فى الدنيا، وعدم استجابته لدعوات من يدعونه.

– روى الترمذى بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ : **«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلايستجاب لكم»** .

* وإنما كانت ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تربية للروح، لأنها جهاد ومعاناة فى سبيل الله، يجب أن يعود الإنسان نفسه عليه، ومالم يرب المسلمون أنفسهم على تحمل أعباء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض، ثم لعنهم كما لعن اليهود من قبل حين تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

– روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أول مادخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فإنه لايحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلايمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم »** ثم قال: **﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ترى كثيراً**

منهم يتولون الذين كفروا، لبئس ماقدمت لهم أنفسهم ﴾ إلى قوله **﴿فاسقون﴾** ثم قال : **«كلا والله، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»**.

* إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تربية لروح المؤمن وتربية للمجتمع كله، وهى تربية عملية تقوم على الممارسة والتطبيق.

رابعا : استهداف الوصول إلى منزلة الإحسان

الوصول إلى منزلة الإحسان غاية نبيلة، إذا بلغها الإنسان فى حياته الدنيا، فقد عاش حياة دنيوية حافلة بالعمل الصالح، النابع عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وبلغ بذلك منزلة ترضى الله تبارك وتعالى عنه فى الدنيا والآخرة.

* فالوصول إلى منزلة الإحسان هدف المؤمن الذى يعمل الصالحات، وليس هدفا يختاره الإنسان لنفسه، وإنما هو هدف دعا الله إليه وحبب فيه، وكتبه على عباده الذين يستجيبون لمنهجه، وما جاء فيه من أمر ونهى.

* والإحسان فى حقيقته هو لب الإيمان وجوهره، فإذا كان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر هو القاعدة الراسخة التى يقوم عليها الإسلام لله تعالى ولمنهجه، فإن الإحسان مطلب فى كل من الإيمان والإسلام، إذ من المطلوب أن يحسن الإنسان إيمانه وأن يحسن إسلامه، بمعنى أن يكون كل منهما على الوجه الذى شرعه الله تعالى وأوضحه رسوله ﷺ .

* وفى مجال التربية الإسلامية .

من ربيت روحه على الإيمان والإسلام يحتاج إلى أن تربى على الإحسان لتقطع باقى الشوط أو الطريق إلى الله تعالى، بأمن وأمان، أمن من الانحراف عن الطريق، وأمان من أن يتعثر - وهو يسعى - فى عقبات وعراقيل يبثها شياطين الإنس والجن ليحولوا بين المؤمن والمسلم وبين الإحسان الذى هو نهاية طريق الإيمان والإسلام .

* والإحسان قد أمر الله تعالى به مع أمره بالعدل قبله وبإيتاء ذى القربى

بعده. وفى الجمع بين هذه الثلاثة: العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى عبرة للمعتبر، قال تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى**﴾ [١] .

والعبرة هنا أن الإنسانية فى أى مكان وفى أى زمان، لا تستطيع أن تعيش آمنة هانئة إلا إذا اتصف الناس فيها بهذه الصفات الثلاثة.

- العدل :

فى القول وفى الفعل، ومع الله ومع النفس ومع الناس أولياء وأعداء، إذ العدل هو المساواة فى المكافأة إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشر، وبغير العدل يختل نظام المجتمع وتضيع الحقوق، ويعم الفساد وينتشر الظلم، وكل ذلك حرمه الله تعالى، ولذلك أمر بالعدل.

- والإحسان :

يقال على معنيين مشهورين :

أحدهما : الإنعام على الغير .

والآخر : إحسان فى الفعل وتجويد له .

وبكل معنى من هذين المعنيين طالبتنا الآية الكريمة. وبغير ممارسة الإحسان بهذين المعنيين لاتستقيم حياة الناس ولايستقر المجتمع .

وللإحسان معان أخرى مطلوبة شرعا كذلك ومنها مايلى:

* الإحسان بمعنى إتقان عبادة الله تعالى ومراعاة آدابها مع استحضار عظمته تعالى وجلاله فى حالة الشروع فى العبادة وفى حالة الاستمرار فى آدائها، وهذا المعنى هو الكامن فى قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ : «**الإحسان أن تعبد**

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .

الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

* والإحسان بمعنى الزيادة فى الطاعات وفى فعل الخير، قال الأسلاف عليهم رحمة الله : الإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه.

* ومن معانى الإحسان: التوحيد، كما ورد ذلك على لسان النبى ﷺ ، فقد روى أن النبى ﷺ قرأ : **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**[1] ثم قال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا : «الله ورسوله أعلم قال يقول: «**هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة** » .

وأوضح ابن عباس رضى الله عنهما هذا المعنى للإحسان بأن فسر هذه الآية الكريمة بقوله ـ فى قول الله تعالى: **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**ـ هل جزاء من قال : لا إله إلا الله، وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟ .

- وإيتاء ذى القربى :

ومعناه أن يعطى المسلم أقاربه ما يحتاجون إليه دعما للروابط الأسرية، سواء أكان هذا الإعطاء واجبا كالنفقة على من تجب عليه نفقته، أم كان الإعطاء مندوبا إليه كالبر وصلة الأرحام .

تلك هى الصفات الثلاثة التى تجعل الحياة الاجتماعية مستقرة آمنة، وبغيرها لايكون استقرار ولا أمن، وقد جاء الإحسان فى هذه الصفات بين العدل وإيتاء ذى القربى، فتدبر أيها الإنسان وخذ العبرة والعظة .

* والإحسان الذى نستهدف الوصول إلى منزلته، بكل معنى من معانيه التى ذكرنا، ذلك الإحسان تربية للروح والقلب والنفس، وتربية لكل معنى إنسانى فى الإنسان، ولا تربى روح الإنسان تربية إسلامية حتى يصبح الإحسان من

---

(١) سورة الرحمن : ٦٠.

عملها الدائم حتى تلقى الله عليه.

* وتربية الروح على الإحسان تعنى أموراً كثيرة منها: -

- أن تحسن هذه الروح باتباع كل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، اتباعا عمليا.

- وأن تلزم نفسها بهذا الاتباع فى كل حين، وألا تفتر عنه، فضلا عن أن تقعد عنه.

- وأن تحسن إلى الناس بتوصيل الخير لهم، احتسابا للأجر على ذلك عند الله، ودون انتظار شيء من الناس، ولا خير ينقذ الناس مثل دعوتهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وتمهيد الطريق إلى ذلك أمامهم.

- وأن تحسن هذه الروح تقديرها لنفسها فتتعامل بالإحسان بمعنى أن تأخذ أقل مما لها، وأن تعطى أكثر مما عليها.

* إن تربية الروح على هذا الإحسان بتلك المعاني لتصل بها إلى منزلة الإحسان هدف كبير من أهداف التربية الإسلامية، بل دعامة أساسية من دعائمها، لأن المجتمع لا يمكن أن يسلم من عيوبه، وينقى من أخطائه إلا إذا كان الإحسان بمعانيه تلك شائعا فيه يمارسه المسلمون جميعا تقربا به إلى الله تعالى.

* وإن الممارسة العملية للإحسان بهذه المعانى التى ذكرنا هى الترجمة الصحيحة للإيمان بكل مفرداته، وللإسلام بكل أركانه، وللعدل بكل معانيه.

أرأيت مجتمعا إنسانيا يسوده الإحسان، كيف يكون؟

خامسا: ممارسة أعمال الدعوة إلى الله

التربية الإسلامية للروح والقلب، تستهدف أن تشغل الروح والقلب بأعمال الدعوة إلى الله، لأن ممارسة الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة على بصيرة لما يدعو إليه.

* وأعمال الدعوة إلى الله كثيرة متنوعة، ودقيقة عميقة تحتاج إلى إعداد وصبر واحتساب، واستمرار ودأب.

* ونحاول هنا أن نرصد أعمال الدعوة إلى الله من خلال ما أتيح لنا بفضل الله من ممارسة نظريا وعمليا، فنقول :

- بداية أعمال الدعوة إلى الله هى التعلم، ويصاحبه العلم والتحصيل، للوصول إلى الفهم أو الفقه لما يدعو إليه الداعى وإقامة الأدلة والبراهين عليه، وذلك التعلم والعلم هو البصيرة التى يجب أن تتوفر فى الداعى إلى الله، قال الله تعالى : ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾[1].

والتعلم والعلم يتبعهما التعليم وهو الدعوة إلى اللـه.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله التلطف فى التعامل مع الناس أثناء عرض الدعوة عليهم، وهذا التلطف هو الالتزام بما أمر الله به فى عرض الدعوة على الناس، فى قوله تعالى : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾[2].

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨.

(٢) سورة النحل : ١٢٥.

والحكمة تلطف،

والموعظة الحسنة تلطف،

والجدال بالتى هى أحسن تلطف .

وإنما كان هذا التلطف فى هذه الأساليب كلها، لأنه لا يجوز أن يُكره أحد على الدخول فى الدين، وعلى الدخول فى أعمال الدعوة إلى الله.

– ومن أعمال الدعوة إلى الله ارتياد المساجد لأداء الفرائض أساسا وللتعرف على صالحى المسلمين، وعقد الصلات بهم، وتفقدهم إذا غابوا، والتودد إليهم وإلفهم، لأن المؤمن مألف أى يألف ويؤلف، كما جاء ذلك فى السنة النبوية المطهرة.

* روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«أقل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»**.

* وروى الدار قطنى فى الأفراد بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»**.

إن التعرف على الناس وحبهم والتحبب إليهم والعمل على نفعهم هو روح الدعوة إلى الله وجوهرها الحقيقى وهو القادر على أن يجذب الناس إلى ركب الصالحين.

– ومن أعمال الدعوة إلى الله تعليم الناس التعاون على البر والتقوى، والبداية الطيبة المباركة المقبولة فى هذا التعاون هو تعهد المسجد وتنظيم ما فيه وتنظيفه، وتزويده بمكتبة، وتنظيم دروس دينية فيه إذا لم يكن به دروس، وحسن

التعامل مع شيخه وسائر العاملين فيه والمترددين عليه - كما أسلفنا - بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله، بل من أهم أعمالها، أن يتوسم الداعى إلى الله فى أحد المصلين المواظبين صلاحا واستجابة لما يأمر به الله تعالى فيعقد معه علاقة وصداقة قوية تتدرج حتى تصبح تآخيا فى الإسلام.

* وفى أثناء ذلك يزوره ويستزيره ويتلطف إليه ويقدم له الهدايا والخدمات.

* ويعرفه على بعض الصالحين فى الحى الذى يقيم فيه.

* ويبصره بشئون دينه وواجبات المسلم نحو نفسه ووالديه وأهله وأقاربه وجيرانه وسائر الناس.

* ويتعاون معه على القراءة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبعض الكتب التى يرى أنها تفيده فى دينه أو دنياه.

* ويتدارس معه بعض قضايا المسلمين فى الحى الذى يعيش فيه، ثم فى وطنه ثم فى العالم كله.

* ويدربه على العطاء والتضحية ببعض وقته وبعض جهده لصالح المسلمين، وكل ذلك فى سبيل الله.

* ويشجعه على المشاركة فى رعاية اليتامى والأرامل، والفقراء والعاجزين عن العمل، لأن هذه الأعمال هى لب الإسلام وجوهره إذ هو دين ونظام للإنسان.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله أن يكون للداعى المسلم مجموعة صغيرة من الناس يتعهدها ويرعاها، بعد أن يكون قد اختارها من أصلح الأفراد الذين عمق بهم صلاته، حتى وصل معهم إلى مرحلة التآخى فى الإسلام.

* وهذه المجموعة المنتقاة، يرتب معها لقاءً أسبوعيا، يجتمعون فيه على مدارسة فى القرآن والسنة والسيرة النبوية، وفقه العبادات والمعاملات، وممارسة النوافل.

* ويكون لهذه المجموعة برنامج ثقافى يتناول :

– ثقافة إسلامية،

– وثقافة عامة،

– وثقافة متخصصة فى بعض العلوم والمعارف.

* ويكون لهذه المجموعة إطار زمنى تنفذ فيه هذا البرنامج.

* ولابد لهذه المجموعة من أنشطة عملية كالرحلات والزيارات للناس وللأماكن، والحوارات والندوات ونحوها.

– ومن أعمال الدعوة إلى الله أن يدرب المسلم نفسه على قيادة غيره من الناس فى الخير ونحو ما يرضى الله تبارك وتعالى للوصول بمن يدعوهم إلى مستوى خاص فيما يلى :

* فهم الإسلام دينا ومنهجا ودعوة وحركة وتنظيما وتربية.

* والإخلاص فى العمل من أجل هذا الدين.

* والتشوق إلى الجهاد فى سبيل الله، وجهاد أعداء الله.

* والتدرب على التضحية فى سبيل الله بكل ما من شأنه أن يضحى به المسلم من جهده ووقته وماله.

ولا يستطيع أن يكون قائدا لغيره إلا إذا توفرت لديه الأسباب التالية :

* قدر من القرآن الكريم حفظا وفهما وحسن تلاوة.

* وقدر من السنة النبوية حفظا وفهما وتطبيقا.

* ودراسة جيدة للسيرة النبوية المطهرة.

* ومعرفة بتاريخ الأنبياء والمرسلين.

* ومعرفة بالفقه الإسلامي عموما.

* ومعرفة دقيقة بفقه العمل الجماعى.

* ومعرفة بأهم قضايا العالم الإسلامى.

* ومعرفة كافية بحركات الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى المعاصر.

* ومعرفة جيدة بالتيارات الموالية أو المعادية للعمل الإسلامى ولحركات الإصلاح والتجديد.

* وتمثل مستمر لحياة الرسول ﷺ، وكيف كان يربى الناس ويتعامل معهم ويقودهم إلى الخير. إن ذلك هو الذى يمكنه من أن يمارس الدعوة إلى الله، وأن يقود غيره من الناس، وأن يسهم فى تربيتهم تربية إسلامية تصلح لهم دينهم ودنياهم، وتصلح بهم غيرهم من الناس. وذلك كله فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله عقد صلات طيبة بسائر الدعاة إلى الله، والتفاهم معهم، والتعاون على أداء واجبات الدعوة إلى الله، والتواصى فيما بينهم بالحق والصبر، وإنما يجدى هذا التعاون ويعطى أعظم الثمر إذا كانت هناك لقاءات بين الدعاة: ندوات أو مؤتمرات تبحث فيها قضايا الدعوة إلى الله فيما يتصل بمحاور ثلاثة:

* الدعوة نفسها،

* والدعاة،

* والمدعوون.

وتتبادل فيها الآراء والخبرات والتجارب فى هذه المحاور الثلاثة حتى يتمكن الدعاة من أداء عملهم على النحو الذى يحقق النجاح والفلاح بإذن الله تعالى.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله تقويم العمل فى الدعوة، بحيث ينظر الداعية فيما قدم من عمل خلال سنة، ليرصد النتائج ويقوم الأداء ويتعرف على ما وقع فيه من أخطاء ليتجنب الوقوع فيها ثانية ويستغفر الله منها، وعلى ما وفقه الله إليه من عمل صالح ناجح فيحمد الله عليه ويستزيد من هذا العمل ما وسعه.

* وهذا النوع من التقويم تقويم ذاتى شخصى.

* وهناك تقويم عام يقوم به عدد من الدعاة، يطرحون فيه القضايا العامة، والعمل العام، محاولين التعرف على أسباب الفشل أو النجاح لأخذ العظة والاعتبار.

* وهناك تقويم على مستوى أكبر، ربما يتم فى مؤتمر للدعاة تناقش فيه قضايا الدعوة إلى الله ما لها وما عليها، وينتهى هذا المؤتمر بتوصيات يفيد منها سائر الدعاة إلى الله فى العالم كله، بحيث تكون برنامج عمل للدعاة، مع مراعاة الفروق بين إقليم وإقليم فى المدعوين والدعاة والتيارات الموالية أو المعادية لهم.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله تبادل الزيارات بين الدعاة، طالما كان هذا متاحا، لأن الحركة من أجل الدعوة بركة، وتعميق الاتصال برجال الدعوة، والتعرف عليهم فى أماكن دعوتهم عمل مفيد نافع بإذن الله تعالى.

ونقل خبرة إقليم إلى إقليم فى مجال الدعوة تفيد أكبر فائدة للدعاة الذين قد ينتقلون إلى إقليم غير إقليمهم. فقد تدانت أطراف العالم بعد يسر المواصلات وسرعتها، ولا شك أن المدعوين أنفسهم يفيدون من هذه الزيارات، ونحن نؤمن إيمانا راسخا أن العالم الإسلامى كله بالنسبة للدعاة إلى الله وحدة واحدة بل أمة واحدة مهما تناءت المسافات وتعقدت إجراءات الانتقال من إقليم إلى آخر.

إن هذه الإجراءات مصيرها إلى الزوال.

* وبعد : فقد ذكرت من أعمال الدعوة عشرة أعمال وهى قليل من كثير، ولكنها أعمال تسهم فى تربية روح المسلم وقلبه وحسه الإسلامى كله، وسلوكه الفردى والاجتماعى. وهى كلها من التربية الإسلامية العملية، التى تذكى الروح وتشحذ العزم وتحيى القلب، وتعطى المسلم مزيدا من الإحساس بالرضى عن الله تعالى، إذ يجد نفسه مع أمر الله وندبه وما حبب فيه.

إن ذلك يصقل الروح ويزيل عنها صدأ الكسل والفتور ويدفع بها فى الطريق إلى الله تعالى، طريق الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه.

سادسا : ممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل

قيام الليل، أى إحياؤه بالعبادة، مطلب شرعى، دعت اليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ.

وهو من النوافل التى تزيد الإنسان قربا من الله تعالى، وتوصله إلى درجة حبه تعالى له.

– قال الله تعالى : **﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا، إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا﴾**[1].

* والقول الثقيل هو القرآن الكريم، لما يشتمل عليه من أوامر ونواه وتكاليف تعد شديدة على النفس بمنعها من كثير من شهواتها، وإن كان أداؤها مرضاة الله تعالى ومصلحة للإنسان فى دنياه وآخرته.

*ومن أنجح وسائل الاستعانة على العبادة قيام الليل، لأن من هيأ نفسه ليقوم الليل عابدا لربه كان أقدر على أداء ما أمر الله به، وعلى اجتناب ما نهى الله عنه.

وقيام الليل بعبادة الله تعالى أقرب إلى القبول، وأدعى إلى الاستجابة، فالله تعالى أقرب ما يكون إلى عبده فى جوف الليل.

– وقال عز وجل : **﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾**[2] فقد وصفهم الله تبارك وتعالى بهذه الصفة وهى بياتهم لله ساجدين قائمين، بين وصفه تعالى لعباده عباد الرحمن بثلاث مجموعات من الصفات هى :

---

(١) سورة المزمل : ٥ – ٦.

(٢) سورة الفرقان : ٦٤.

* صفات التحلى بالكمالات، ومنها هذه الصفة: قيام الليل لله تعالى بالسجود والقيام، وما فى هذا القيام من ذكر وتسبيح وقراءة ودعاء

* وصفات التخلى عن الضلالات، ومنها رفض شهادة الزور، **«وإذا مروا باللغو مروا كراما»**.

* وصفات التطلع إلى المقامات، ومنها قولهم : **﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾**[1].

والمفسرون للقرآن الكريم يقولون : إن معنى يبيتون لربهم سجدا وقياما أى يقومون الليل متعبدين يذكرون الله كثيرا.

– وقال جل وعلا : **﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هى يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾**[2].

* والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع لله تعالى.

* وآناء الليل : ساعاته،

* ويحذر الآخرة : أى يخاف ما فيها من حساب،

* ويرجو رحمة ربه : يظن حصولها له.

* ويفهم من الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى لا يسوى فى الجزاء بين الخاشعين – الضارعين بجوارحهم لله تعالى والذين امتلأت أرواحهم وقلوبهم خشية له سبحانه – آناء الليل فى سجود وقيام يخشون يوم القيامة ويعملون له،

---

(١) انظر للمؤلف : «التربية الخلقية» حيث فصلنا كل مجموعة من هذه الصفات تفصيلا دقيقا – وهو كتاب أُعدّ وينتظر الطباعة بعد إعادة النظر فيه – وهن ثانى كتاب من سلسلة : مفردات التربية الإسلامية.

(٢) سورة الزمر : ٩.

ويأملون فى رحمة الله تعالى لهم، لا يسوى سبحانه وتعالى بين هؤلاء ومن لا يفعلون ذلك، فيقضون ليلهم نائمين كأنهم جيف كما وصفهم رسول الله ﷺ.

* روى البيهقى فى السنن بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يبغض كل جعظرى جواظ، سخاب فى الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بالدنيا جاهل بالآخرة**».

* وقد وصف الله سبحانه قُوَّام الليل بأنهم الذين يعلمون، ووصف من لا يقومونه بأنهم لا يعلمون.

والذين يعلمون هم أصحاب العقول وأولوا الألباب، وعلم هؤلاء يتمثل فى اتصافهم بجملة صفات هى :

* أنهم يذكرون الله قيما وقعودا وعلى جنوبهم أى فى كل حال.

* وأنهم يتفكرون فى خلق السموات والأرض قائلين سبحانك ما خلقت هذا باطلا، ويدعونه بأن يقيهم عذاب النار.

* وأنهم عندما سمعوا نداء الإيمان ومناديه استجابوا له، وطلبوا مغفرة الله لذنوبهم وتكفير سيئاتهم، ووفاتهم وحشرهم مع الأبرار.

* وأنهم يسألون الله ما وعدهم على ألسنة رسله من نعيم، وما وعدهم من وقاية من خزى يوم القيامة.

* وأنهم قد استجاب الله لهم.

إن هؤلاء هم القانتون لربهم آناء الليل، كما جاء وصفهم فى الآيات الكريمة التالية :

وهى ما فسرنا بها وصف الله لهم بأنهم يعلمون : **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى، وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾**[1].

* ومما جاء فى السنة النبوية فى قيام الليل ما نذكر بعضه فيما يلى :

– روى الترمذى بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«عليكم بقيام الليل، فإنه أدب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم»**.

– وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»**.

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ – ١٩٥.

وقال ابن ماجة فى روايته : فيصبح نشيطا طيب النفس قد أصاب خيرا، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيرا.

– وروى ابن حيان فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إنى إذا رأيتك طابت نفسى وقرّتْ عينى، انبئنى عن كل شيء. قال : **كل شيء خلق منَ الماء**، فقلت : أخبرنى بشيء إذا عملته دخلت الجنة؟ قال : «**أطعم الطعام وأَفش السلام وصل الأرحام، وصَلِّ بالليل والناس نيام تدخل الجنة سلام**».

ورواه أحمد فى مسنده،

وابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد،

ورواه الحاكم وصححه.

– وروى الطبرانى والبزار بسنديهما عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: « أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلى بالليل ما قل أو كثر، ونجعل آخر ذلك وِتْراً»

– وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنهما قال : «**جاء جبريل إلى النبى ﷺ، فقال** : **يا محمد** : **عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس**».

– وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**».

– وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن**

قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنْطِرين».

ورواه ابن خزيمة فى صحيحه.

والمقنطرون هم أصحاب القناطير من ثواب الله تعالى لهم.

* من خلال هذه النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نعلم أن قيام الليل فضيلة وقربى من الله ندب إليها الله تعالى وشجع عليها ، ودعا إليها رسول الله ﷺ وأشاد بها.

* ونستطيع من خلال هذه النصوص الكريمة أن نستخلص الحقائق التالية عن قيام الليل :

- أنه من أدب الصالحين المخلصين من قبلنا، ويحسن منا معشر الأمة الإسلامية أن نتأدب بقيام الليل.

- - وأنه قربة إلى الله تعالى، وكل ما يقربنا من الله خير لنا، وسعادة لنا فى دنيانا وأخرانا.

- وأن قيام الليل يكفر عنا سيئاتنا،

- وأنه ينهانا عن الآثام والذنوب،

- وأنه من صفات الذين يعلمون، الذين لا يساويهم الله بالذين لا يعلمون،

- وأنه يحل عُقَد الشيطان التى يعقدها على رأس النائم،

- وأنه مدعاة للنشاط وطيب النفس وإصابة الخير،

- وانه مع غيره سبب فى دخول الجنة «وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام» ،

- وأنه من شرف المؤمن،

- وأن قيام الليل خير يستحق من يقوم به أن يغبط عليه،

- وأنه سبب للحصول على ثواب الله تعالى، بحيث لا يكتب القائم بعشر آيات من الغافلين، ويكتب من قام بمائة آية من القانتين، ويكتب من قام بألف آية من أصحاب القناطير من ثواب الله.

- وتربية الروح عن طريق قيام الليل، وسيلة مشروعة قادرة بإذن الله على تصفية الروح من شوائبها، وما يعلق بها من أدران.

- وما يربى الروح أفضل من أن يضع الإنسان نفسه بحيث يكون الله تعالى أقرب ما يكون منه، فقد روى الترمذى والنسائى بسنديهما عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن**».

- وليس يربى الروح وينقى القلب مثل قيام الليل وما يحفل به قيام الليل من ذكر وتلاوة وتهجد ودعاء وقرب بذلك من الله، وقرب من الله للقائم فى جوف الليل.

* ولقد دأب بعض الصالحين فى عصرنا هذا على أن يحيوا سنة قيام الليل متعبدين، يملأون ليلهم بالذكر والتلاوة والصلاة ويستمرون في ذلك إلى قبيل صلاة الفجر - السحر - وعندئذ يقبلون على الله بالدعاء وطلب النصر، ثم يصلون فريضة الصبح ويقرأون الورد، ثم ينصرفون إلى أعمالهم[1].

---

(١) هذا ما تسميه جماعة الإخوان المسلمين بالكتيبة، وهى إحدى الوسائل للتربية، وانظر للمؤلف: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين - نشر دار الوفاء بمصر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

* وفى ختام الحديث عن تربية الروح بقيام الليل أقول :

إن قيام الليل من أفضل أعمال الخير والبر لو خلصت النية وحسن التوجه بذلك إلى الله تعالى وحده.

وهو يضفى على صاحبه رضا ورحابة صدر ورجاحة عقل، وإيثارا للعمل من أجل الإسلام فى هدوء وسكينة وبعد عن الشبهات والترهات.

ولا أبالغ إن قلت : إن قيام الليل يضفى على صاحبه بهاء وتقبلا عن الناس.

اللهم اجعلنا من الصوامين القوامين.

سابعا : زيارة القبور

زيارة القبور مستحبة، وهى سنة عن رسول الله ﷺ، وما يَسنّ رسول الله ﷺ للمسلمين قولا أو عملا إلا إذا كان مفيدا لهم محققا لمصالح الدين والدنيا.

– فقد قال الله تبارك وتعالى : **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾**[1].

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**دعونى ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم**».

* هذا شأن كل سنة سنها النبى ﷺ، ومن هذه السنن زيارة القبور.

ونستطيع أن نجد فى زيارة القبور فوائد جليلة للمسلم فى دينه ودنياه، نذكر منها ما يلى :

– أنها تذكر الإنسان بالموت،

– وأنها تذكر بالآخرة وتزهد فى الدنيا،

– وأنها عبرة وعظة للمؤمن.

* وسوف نذكر الأحاديث النبوية الشريفة التى دلت على ذلك أو أشارت إليه، ومن ذلك :

– ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : زار النبى

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١.

ﷺ قبر أمه، فبكى، وأبكى من حوله، فقال : «**استأذنت ربى فى أن استغفر لها فلم يُؤذن لى، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**».

* وتذكُّر الموت تربية للإنسان، إذ الإنسان بحكم فطرته ومطالب جسده يتعلق بأسباب الحياة الدنيا وما فيها، ويقبل على ما يشبع له هذه المطالب والرغبات، ويبذل فى سبيل الحصول على هذه الرغبات معظم وقته وجهده، ووسط هذا الجهد ومع هذا التعلق ينسى الآخرة وينسى الحساب وما يترتب عليه، فإذا زار قبرا فإنه يتذكر الموت، ويفيق على أن ذلك مصيره، ومصير كل حى، فعندئذ يقلل من رغباته ويهذب من حاجاته، وينفق من وقته وجهده لما بعد الموت، ويقل تكالبه على رغبات الحياة الدنيا.

* إن زيارة القبور تجعل الإنسان يفكر فيما بعد الموت فيستعد له بالعمل الصالح، ويتذكر ما عند الله يوم القيامة فيصرف همه فى أن يستنقذ نفسه من عذاب النار، وعندئذ يلوم نفسه على كل تقصير وتفريط فى جنب الله.

- روى الإمام أحمد بسنده، والترمذى وابن ماجة والحاكم بأسانيدهم عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى**».

* إن زيارة القبور تذكر الإنسان بالموت، والموت من أكبر الحقائق التي تنتهى إليها حياة الإنسان، وقد خلق الله تبارك وتعالى الموت والحياة كليهما ليختبر الإنسان ويرى إن كان من أصحاب العمل الصالح فى الدنيا، ليجزى عليه الجزاء الحسن فى الآخرة، أو كان من الغافلين، قال الله تعالى : ﴿**الذى خلق الموت**

والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾[1].

وقال جل شأنه : **﴿كل نفس ذائقة الموت، ونبلوكم بالخير والشر فتنة والينا ترجعون﴾**[2].

* وأما أن زيارة القبور تذكر بالآخرة وتزهد فى الدنيا، فتلك حقيقة يشعر بها كل من زار قبرا.

ولقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ . روى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر بالآخرة**».

– أما أن زيارة القبور تزهد فى الدنيا، فلما تحدثه تلك الزيارة فى النفس والقلب والعقل من اقتناع بأن التعلق الزائد بالدنيا غفلة وضلال، وأن تناول أسباب الدنيا وأعراضها يجب أن يكون فى حدود شرع الله، وشرع الله تعالى يعلمنا أن نقبل على الدنيا ونعيمها بحساب ولا نوغل فى الإقبال عليها. كما أن شرع الله لا يبيح لنا أن نهمل كل أسباب الحياة وما فيها من نعم وزينة، ونعيش على هامشها – كما ضل فى ذلك من لبسوا المرقعات وعاشوا فى الخلوات وطلقوا الدنيا وأسبابها – فلقد تحدث القرآن مستنكرا على هؤلاء الذين يدعون إلى أن يحرم الإنسان نفسه من طيبات الحياة الدنيا باسم الزهد، فقال جل شأنه : **﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون، قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها**

(١) سورة الملك : ٢.
(٢) سورة الأنبياء : ٣٥.

وما بطن والإثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[1]. ففى هذه الآيات تتضح حقيقة الزهد المشروع، ومدى الإقبال على الدنيا.

إن زيارة القبور تُطلع الإنسان على مصيره، وتريه رأى العين ما يكون غافلا عنه، فيجد ويجتهد وينشط إلى عمل الصالحات.

– وأما أن زيارة القبور تذكر بالآخرة، فتلك حقيقة أيضا بل من أكبر الحقائق كتلك، وذلك أن آخرة كل منا تبدأ يوم يموت، والموت أقرب إلينا من أى عارض آخر وألصق به وهو مدركه لا محالة، ولا يستطيع أحد أن يجد منه مهربا، قال الله تعالى : **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة...﴾**[2].

وزيارة القبر تذكر بالآخرة لأنها تذكر بالموت، وتذكر الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب، وأهوال وزحام وعناء.

ومن تذكر ذلك، فكر فى أن يعمل لهذا اليوم العظيم، حتى يكون من الناجين فيه.

– روى الترمذى بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه»**.

– وروى الحاكم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنائع المعروف تقى مصارع السوء، والآفات والمهلكات، وأهل المعروف فى**

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ – ٣٣.

(٢) سورة النساء : ٧٨.

الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة».

- وروى الحاكم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هُجْراً»**.

* ومن تذكَّر الآخرة جعلها همه ومن كانت الآخرة همه أغناه الله وجمع شمله وأعطاه من نعم الدنيا ما يشاء . فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : **«من كانت الآخرة همه، جعلَ الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»**.

* وأما أن زيارة القبور عبرة وعظة، فإنها فى الحق أكبر عبرة وأعظم عظة لمن فكر وتدبر، وكان له قلب أو ألقى النظر إلى ما يرى وهو يزور القبر.

أكدت ذلك أحاديث النبى ﷺ.

- روى أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : **«إنى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة»**.

* والعبرة إنما تكون بالحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والذين يستفيدون من العِبرَ ويتعظون إنما هم أولوا الأبصار، وأهل الكياسة والعقل والفطنة.

- روى ابن أبى الدنيا فى كتاب «الموت» بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصال فقال : يا نبى الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : **«أكثرهم ذكرا للموت،**

وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة».

– وروى ابن ماجة بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : «كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بَلَّ الثرى، ثم قال: **يا إخوانى : «لمثل هذا فأعدوا»**

– وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : «**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

وفى رواية للترمذى أن كلمة ابن عمر هذه هى من قول الرسول ﷺ.

* زيارة القبور إذن تربى الروح وتبصرها بحقائق الحياة والموت، وتثير فيها الرغبة فى العمل الصالح، وتذكرها بالموت، وباليوم الآخر، وتجعلها تزن الدنيا بميزانها الصحيح وتضع أمامها أكبر العظات وأعظم العبر.

* ومن أجل هذا تحرص التربية الإسلامية على أن تربى المسلم تربية عملية بزيارة القبور.

وبعد : فإن هذه الوسائل السبعة التى ذكرنا فى تربية الروح تربية عملية وهى:

أداء الفرائض،

والإكثار من النوافل،

وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،

والوصول بالعمل إلى منزلة الإحسان،

وممارسة أعمال الدعوة إلى الله،

وممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل،

وزيارة القبور .

كل هذه الوسائل إذا مارسها الإنسان ممارسة عملية صفت روحه وشفت، فازدادت بذلك من الله قربا، وأقبلت بهذه الوسائل على الله عابدة خاشعة ضارعة، مخلصة عملها كله لله، فوصلت بذلك إلى منزلة الرضا المتبادل بين العبد وربه، وهى أعلى منزلة يمكن أن يصل إليها الإنسان فى الدنيا والآخرة، وقد وصف الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنهم خير الخلق، وأن جزاءهم عند الله هو خير الجزاء، لأن الله تعالى رضى عنهم ولأنهم رضوا عنه، وكان ذلك نتيجة لخشيتهم لله تعالى.

قال الله تعالى : **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشى ربه﴾**[١] .

---

(١) سورة البينة : ٧ - ٨.

٣ – والتزام سمت المؤمنين

تحاول التربية الإسلامية ـ وهى تصقل الروح والقلب ـ أن تجعل ذلك منعكسا على شخصية المسلم، فيصبح لها سمت المؤمن فى ظاهره الذى يراه الناس، وفى باطنه الذى يطلع عليه الله تبارك وتعالى، ويعرفه الإنسان من نفسه.

* والمؤمن مطالب بأن يكون سمته الظاهر سمت المؤمنين وبأن يكون باطنه نقيا نظيفا من شوائب النفاق والرياء وكل ما يغضب الله تبارك وتعالى.

* وظاهر المؤمن الذى يميزه عن غيره من الناس يتمثل فى صفات عديدة يجب أن يتحلى بها المسلم، وصفات أخرى يجب أن يتخلى عنها، وصفات يجب أن يتطلع إلى الاتصاف بها دائما، ومن مجموع ذلك يتجلى سمت المؤمن.

– ومجمل القول فى هذه الصفات التى يجب أن يتحلى بها هى الصفات التى وصف بها المؤمنون المتقون عباد الرحمن فى القرآن الكريم، وما تطيقه بشريته من الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه فى القرآن الكريم أو فى سنة النبى ﷺ.

– ومجمل الصفات التى يجب أن يتخلى عنها المؤمن هى الصفات التى وصف الله بها المشركين والكافرين والمنافقين والفاسقين والفجار.

– ومجمل الصفات التى يجب أن يتطلع إليها المؤمن ليتحلى بها هى صفات النبى ﷺ وأخلاقه الكريمة[1].

* من توفرت له هذه الصفات تحليا وتخليا وتطلعا ، فقد استوفى سمت المؤمن.

(١) من أحسن الكتب فى ذلك كتاب : « أخلاق النبى » للأصبهانى.

*** وسمات المؤمن أو صفاته الظاهرة تتمثل فيما يلى :**

- فى كلامه :

لأن الكلمة التى ينطقها المؤمن لها وزنها، وهو محاسب عليها، ولها فى الإسلام شروط وآداب[1].

فالمؤمن لا يتكلم إلا بطيب الكلام وأرفقه بالناس، ولا يتكلم إلاأن تكون هناك للكلام حاجة، وإذا تكلم أسمع بغير ازعاج، وأقنع بغير رغبة فى غلبة الخصم أو السامع، واستعان على تقبل كلامه عند الناس بما يحفظ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأعاد ما يتكلم به ليؤكده ويذكر به، ولخصه ليعين السامع على حفظه.

* وخير كلام المؤمن أن يكون دعوة إلى الله ومقرونا بالعمل الصالح، قال الله تعالى : **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾**[3].

* وكلام المؤمن يجب أن يخلو من الفحش والبذاء .

- روى الترمذى بسنده عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله: حدثنى بأمر اعتصم به، قال : **«قل ربى الله ثم استقم»** قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علىّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : **« هذا »**.

- وروى الترمذى بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال : **«أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»**.

- وروى البيهقى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال

---

(١) سنفصل هذا بإذن الله فى كتابنا: «التربية الخلقية» من هذه السلسلة.

(٣) سورة فصلت : ٣٣.

رسول الله ﷺ : «**ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هُجْرٍ خرقَ سِتْرَ الله**».

* والمؤمن في كلامه يتمثل منطق رسول الله ﷺ وكلامه فلا يثرثر ولا يتشدق ولا يتفاصح، فقد روى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم منى يوم القيامة : الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون**» قالوا يا رسول الله ما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**».

- وفى صمته :

وذلك أن للمؤمن سمتا وهو صامت، إذ ينبغى أن يكون هذا الصمت للتفكر والاعتبار، والتأمل فى مخلوقات الله تعالى، لأخذ العظة والعبرة من عظيم صنع الله فيها وجليل حكمته سبحانه فى خلقها، فقد قال تعالى : ﴿**يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار**﴾[1].

* والأصل فى المؤمن أن يقول خيرا أو يسكت.

روى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت**».

- وللمؤمن سمت فى طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه بحيث يتجنب فى كل ذلك الإسراف والمخيلة ويتناوله بقصد واعتدال.

- وللمؤمن سمت فى مشيته وحركته وسكونه، بحيث لا يتخلى عن وقار

---

(١) سورة النور : ٤٤.

المسلم ولو كان ساعيا إلى المسجد للصلاة.

– وللمؤمن سمت فى تعامله مع أهله وأبنائه وأقاربه وأرحامه، وأصدقائه وجيرانه، وكل ذلك يجب أن يكون معه الإحسان وتقوى الله تبارك وتعالى.

– وللمؤمن سمت فى تعامله مع أصدقائه وجيرانه، وفى تعامله مع غير المسلمين من أهل الكتاب أو سواهم، وكل ذلك مقيد بشروط وآداب أوضحتها شريعة الله.

– وللمؤمن سمت فى التعامل مع الناس أثناء رضاه وغضبه ومخاصمته لسواه، بحيث لا يبالغ فى ذلك ولا يخرج به عن الحق الذى شرعه الإسلام.

* كل ذلك له سمت خاص به أوضحته السنة النبوية الشريفة، وعلى المسلم أن يحرص عليه، حتى يحرز سمات المؤمنين الصالحين إن شاء الله.

* وسمات المؤمن الباطنة، فلا يعلم حقيقتها إلا الله، والمؤمن أمين على هذا الباطن ينبغى أن يجعله دائما نقيا صافيا، لا يختلف عن الظاهر الملتزم بشروط الإسلام وآدابه، وهدى النبى ﷺ وتوصياته، فى السنة والسيرة النبوية.

- ولأن هذه السمات باطنة لايطلع عليها إلا الله تبارك وتعالى، كانت مرتبطة بالإخلاص.

- والإخلاص هو التبرى من كل من دون الله تعالى، لايكون ذلك إلا إذا كان المؤمن لايطلب بعمله أن يتزين به أمام الناس ليمدحوه أو يثنوا عليه، أو ينفعوه.

والعمل الخالص ما كان لله بشرط أن يكون صوابا أى موافقا لسنة النبى ﷺ.

والأصل أن يكون الباطن أعمر من الظاهر.

- وقد تضافرت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة نقاء الباطن وخلوص النوايا التى لايطلع عليها أحد إلا الله تبارك وتعالى، ومن ذلك ما نذكر بعضه فيما يلى:

* روى البخارى بسنده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

* وروى الطبرانى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملا نار فى قلبه نور**».

* وروى الحاكم بسنده فى تاريخه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أحسن فيما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته**».

وبعد هذه المقدمة فى توضيح سمت المؤمنين الذى هو من صميم تربية الروح، فإن علينا أن نحدد لهذا السمت مفردات تدل عليه.

وذلك ما سنحاول فى الصفحات التالية، والله المستعان.

أهم الصفات فى سَمْت المؤمنين

إن روح المؤمن التي تربى تربية إسلامية لها صفات خاصة أحصيت منها هنا سبع صفات هى أبرزها فيما أتصور وهى:

- إحساس هذه الروح بوجود الله تعالى،
- وشعورها بمراقبته سبحانه لها،
- ومراقبتها هى الله تبارك وتعالى،
- والإقبال عليه بالنوافل،
- وحب الخير للناس وحب الناس،
- والثقة فى استجابة الله لدعواتها،
- والرضا بقضايا الله وقدره.

ولتأصيل هذه الصفات بربطها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتوضيح أثر الاتصاف بها فى حياة الفرد والمجتمع، نحاول أن نؤكد ذلك فى هذه الصفحات، والله تعالى هو المستعان.

وتحقيق هذه الصفات فى روح الإنسان هو التربية الروحية التى تعنى على وجه الإجمال صقل هذه الروح وإزالة العوالق والشوائب التى قد تصيبها بالصدأ والفساد.

ولايربى الروح تربية إسلامية مثل توثيق صلتها بالله تعالى عن طريق تحقيق هذه الصفات فيها، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

أولا: قوة الإحساس بوجود الله تعالى

الإحساس بوجود الله تبارك وتعالى فطرة فى الإنسان، وتقوية هذا الإحساس بوجوده سبحانه هو من التربية لروحه ووضعها على بداية طريق الحق والهدى.

والأصل فى هذه القضية أن الإنسان قد أمر أن يعبد الله على وفق ما شرع الله له من منهج يتناول بالتنظيم كل أموره فى الاعتقاد والعبادة والعمل.

ومادام الأمر كذلك فإن الإنسان عليه أن يؤدى هذا الواجب على وجهه وعلى أكمل صوره إذا كانت صلته بالله تعالى قوية ووثيقة، ولاشىء فى حياة الإنسان يعدل عبادته لربه سبحانه وتعالى، لأن الله تبارك وتعالى خلقه ليعبده فقال جل شأنه: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[1].

ولاتكون العبادة خالصة له سبحانه إلا إذا قوى إحساس الروح بوجوده جل وعلا، وتعمقت صلة هذه الروح بخالقها سبحانه، واستمرت هذه الصلة بالله قوية تعلو على كل صلة له بالناس والحياة، إلى أن يخرج من هذه الحياة بأمر الله كما قد كان دخلها بأمره.

هدف التربية الإسلامية تقوية الإحساس بوجود الله تعالى طاعة له سبحانه وتجاوبا مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

فكيف يَقْوى الإحساس بوجود الله تعالى؟

وما التأصيل الشرعى لوجوب أن يقوى هذا الإحساس؟

هذا ما نحاول الإجابة عنه ليتضح لنا موضوع «قوة الإحساس بوجود الله تعالى».

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

[أ] كيف يقوى الإحساس بوجود الله تعالى؟

في البداية أقول:

إن الإحساس بوجود الله تعالى ضروري لأمور جوهرية في حياة المسلم وهي:

* صحة الإيمان،

وسلامة الإسلام،

والأخذ عن الله والتلقي عنه وحده.

كيف يصح الإيمان ويخلو من الشوائب والترهات والأباطيل إذا لم يكن الإحساس بوجود الله تعالى قويا؟

أليس الله تعالى هو المكلِّف من خلال ما أنزل على رسوله ﷺ من أمر ونهي؟ ومالم يحس الإنسان بوجوده سبحانه فعلام الامتثال؟ ولماذا قبول التكاليف؟ بل كيف يُسَوَّغ التكليف؟

ولابد أن أنبّه بَدْءًا إلى أن الإحساس القوى بوجود الله ليس هو عدم إنكار وجوده، لأن الحقيقة أن أحدًا من العقلاء لاينكر وجوده حتى الذين أشركوا وعبدوا الأوثان، ولم يتلقوا عن الله منهجا، وإنما أخذوا مناهجهم من طواغيت، حتى هؤلاء لم ينكروا وجود الله ولا أنكروا أنهم يتقربون إليه بهذه المعبودات من دونه قال الله تعالى: **﴿ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**[1].

* بل إن هؤلاء المشركين لم ينكروا أن الله تبارك وتعالى هو خالق السموات والأرض، وخالقهم هم. قال الله تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات**

---

(١) سورة الزمر: ٣

والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، فأنى يؤفكون﴾[2].

* ليس الإحساس القوى بوجود الله هو عدم إنكار وجوده، لأن الناس جميعا مؤمنين وكافرين ومشركين لاينكرون وجوده، إلا قلة ضئيلة لايؤبه لها ممن طمست بصائرهم وضلت عقولهم، وهم قلة لا يؤبه لها فى فترة من فترات التاريخ، كانوا يشبهون الشيوعيين الذين انهاروا فى عصرنا هذا!!

* وربما كان الإقرار بوجود الله تعالى لايترتب عليه عند بعضهم عبادته وحده، وإنما يعبدون معه إلها أو آلهة غيره، وليس شرطا أن يكون الإقرار بوجوده سبحانه مترتبا عليه توجيه لسلوك، ولا التزام بطاعة ولا إلزام بالتلقى عنه وحده، ولايوجب اتباعا لآخر مناهجه الذى أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ.

وإنما الذى يؤدى إلى ذلك كله ويلزم به هو الإحساس بوجود الله تبارك وتعالى، بل قوة الإحساس بوجوده سبحانه فى كل حين، وعلى كل حال.

* ومن أجل هذا كان من صميم تربية الروح فى الإسلام أن يتعمق إحساس هذه الروح بوجود الله تعالى، وجودا مرتبطا بذاته وأسمائه وصفاته، كما عرَّف هو بذاته وكما ذكر أسماءه وصفاته دون تجاوز فيها بالزيادة أو بالنقصان.

* ومعنى ذلك أن تحس روح المؤمن إحساسا عميقًا بوجود الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، الواحد الأحد القادر العالم المريد السميع البصير الذى ليس كمثله شىء، وبكل اسم من أسمائه أو صفة من صفاته.

---

(١) سورة العنكبوت: ٦١.
(٢) ورة الزخرف: ٨٧.

- ولنضرب على ذلك مثالا يتضح به الحال والمقام:

صفة قدرة الله تعالى

* عندما يتدبر الإنسان فيها، وفيما توحى به وتدل عليه، ويتأملها فى كلمات القرآن الكريم حيث وردت فى تسع وخمسين آية كريمة وصف الله تعالى فيها نفسه بأنه ذو قدرة كقوله تعالى:

﴿إن الله على كل شىء قدير﴾(1) وقوله جل شأنه:

﴿والله على كل شىء قدير﴾(2) وقوله سبحانه:

﴿يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾(3).

* عندما يتدبر الإنسان فى هذه الآيات الكريمة، توحى إليه، بل تعلمه أن يتوكل على الله وأن يلتجئ إليه، فيزيده ذلك إيمانا بالله واعتمادا عليه كما فى قوله تعالى: **﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾**(4). ومن زاد إيمانه وتوكل على ربه سبحانه أحسَّ بوجوده وبالحاجة إليه، فى كل موقف يقفه من الناس والأشياء، ويتعلم أن ما أنعم الله به عليه من قدرة محدودة هى من فيض قدرته، سبحانه تلك القدرة المطلقة.

* إن التأمل فى كل صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وفى كل اسم من أسمائه والشعور بالاحتياج إلى مدده فى كل مجال من مجالات الحياة، هو الذى يملأ النفس إحساسا بوجوده، ويوقظ الروح على هذه الحقيقة الكبرى، ويبعث فيها الراحة والاطمئنان والرضى، والشوق إلى لقاء الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى.

---

(1) سورة البقرة: ٢٠.
(2) سورة ال عمران: ٢٩.
(3) سورة الروم: ٥٤.
(4) سورة الأنفال: ٢.

* ولايربى الروح مثل تدبر صفات الله تعالى فى مخلوقاته من خلال كتابه الكريم؟ وعلى سبيل المثال فإن التدبر فى قوله تعالى: ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحىّ من الميت، ومخرج الميت من الحىّ ذلكم الله فأنى تؤفكون، فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون، وهو الذى أنشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾[1].

[ب] التأصيل الشرعى لوجوب قوة الإحساس بوجود الله تعالى

إن التدبر فى هذه الآيات وحدها -مع أن أمثالها فى القرآن الكريم كثير- يملأ النفس إحساسا عميقا بوجود الله تعالى من خلال ما يشاهد الإنسان من مظاهر قدرته تعالى:

ولنتدبر ما يلى:

١ - فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى. من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى فلقه الحب والنوى، والجنين فى كل مكان منها يشغل حيزاً ضيقا منها.

---

(١) سورة الأنفال ٢.

(٢) سورة الأنعا: ٩٥: ٩٩.

* أما باقى جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية، وعندما يتنبه الجنين ويبدأ فى الإنبات تتحول هذه المواد المكتنزة إلى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدأ فى النمو، وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحبة الثانية من طور الإنبات إلى طور البادرة، فيبدأ النبات فى الاعتماد على غذائه من الأملاح المذابة فى ماء التربة التى يمتصها الجذير، مع تكون الأوراق الخضراء من مواد وكربوايدراتية كالسكريات والنشويات فى وجود ضوء الشمس، وعندما تتم دورة حيات النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب والنوى من جديد.

وتلك هى دورة الحياة والموت، وهى معجزة الكون وسر الحياة نفسها، والسمات الرئيسة فى هذه الدورة هى:

* أن الماء «وثانى أكسيد الكربون» و«النتروجين» والأملاح غير العضوية في التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وأنواع معينة من البكتريا إلى مواد عضوية هى مادة الحياة فى النبات والحيوان.

أما فى الشق الثانى من هذه الدورة فتعود هذه المواد إلى عالم الموت فى صورة نفايات الأحياء ونواتج أيضها وتنفسها.

* ثم فى صورة أجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل «البكتيرى» والكيماوى التى تحيلها إلى مواد غير عضوية بسيطة مهيأة للدخول فى دورة جديدة من دورات الحياة. وهكذا فى كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت، وموتا من الحياة، وهذه الدورة المتكررة لاتتم إلا فى وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبذرة النبات مثلا.

* والآية الكريمة تذكر بالمعجزة الأولى وهى خلق الحياة من مادة الأرض الميتة، ثم تكرار الدورة.. وهكذا جاء إخراج الحى من الميت سابقًا لإخراج الميت من الحى، وهذا هو الإعجاز بعينه.

* ولنتدبر قوله تعالى فى هذه الآيات:

٢ - **﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾**..

* فقدرة الله تبارك وتعالى تشق غبش الصبح بضوء النهار، ليسعى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس، وجعل الله تعالى سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم.

* فالقمر يعكس ضوء الشمس نحو الأرض من أجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الأهلة. فإذا كان القمر فى الاقتران -أى بين الشمس والأرض- فهو فى المحاق، ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض، وإذا كان فى الاستقبال أى الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض يظهر بدرا ثم يأخذ فى التناقص حتى الاقتران الثانى، وتتم الدورة الاقترانية أى الشهر العربى... ودورة القمر هى التى علمت الناس حساب الشهور.. ودورة الشمس هى التى علمت الناس حساب الأيام والسنين.

ولنتدبر قوله تعالى:

٣ - **﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾**.

«فقد كانت الأجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر هى المعالم التى يهتدى بها الإنسان فى سفره براً وبحراً، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم الثوابت على الأخص فى تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاه غايته، ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فناً دقيقا يعتمد عليه، وذلك

باستخدام آلة السدس وما إليها وبالرجوع إلى الجداول الخاصة بذلك، بل إن رجال الفضاء فى الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم فى تحديد اتجاهاتهم فى بعض مراحل أسفارهم.

وتستخدم بعض مجموعات النجوم كذلك فى تحديد الزمن، مثل مجموعة الدب الأكبر، وبذلك تم تعرف الإنسان على المكان والزمان بالنجوم، كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى.

ولنتدبر فى قوله تعالى:

٤ - ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾.

توضح هذه الآية الكريمة فى النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت، ونمت فى أطوارها المختلفة، حتى وصلت إلى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت و«البروتينات» والمواد الكربوايدراتية والنشويات، كل هذا يتكون فى وجود الشمس عن طريق المادة الخضراء مادة اليخضور التي توجد عادة فى المجموع الخضرى للنباتات وخاصة الأوراق، فهى المصنع الذى تتكون فيه تلك المركبات ومنها توزع على باقى أجزاء النبات بما فيها البذور والثمار، علاوة على أن الآية الكريمة تقطع بأن ماء المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض، وطاقة الشمس هى مصدر طاقات الأحياء جميعا.

* ولكن النباتات هى التى تستطيع اختزان طاقة الشمس بوساطة مادة

اليخضور، وتسلمها للإنسان والحيوان فى المواد الغذائية العضوية التى كونتها.

* وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخالق وهى أن مادة «الهيموجلوبين» اللازمة لتنفس الإنسان وكثير من أنواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور، فذرات «الكربون» و«الأيدروجين» و«الاكسوجين» و«النتروجين» تكتنف ذرة الحديد فى جزىء «الهيموجلوبين» بينما هى بنفسها تكتنف ذرة «الماغنيسيوم» فى جزىء اليخضور.

كما أنه قد اتضح من البحوث الطبية أن مادة اليخضور عندما يتمثلها جسم الانسان تندمج في خلاياه فتقويها وتساعدها على القضاء على جراثيم الأمراض، فتتيح لأنسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الأمراض.

ولنتدبر قوله تعالى:

٥ - **﴿يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلا، ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾**[١].

فالآية الكريمة تقول للناس: إن كنتم فى شك من بعثنا لكم بعد الموت ففى خلقكم الدليل على قدرتنا على البعث، فقد خلقناكم - أى خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام - من تراب، ثم جعلنا منه نطفة حولناها بعد مدة إلى قطعة دم متجمدة، ثم جلعناها قطعة من اللحم مصورة فيها معالم الإنسان، أو

---

(١) سورة الحج: ٥.

غير مصورة لنبين لكم قدرتنا على الإبداع والتدرج فى التكوين، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة، ومنكم بعد ذلك من يتوفاه الله، ومنكم من يمد له عمره حتى يصير إلى الهرم والخرف فيتوقف علمه وإدراكه للأشياء.

ومَنْ بدأ خلقكم بهذه الصورة لاتعجزه إعادتكم.

وهناك أمر آخر يدل على قدرة الله على البعث، وذلك أنك أيها الإنسان ترى الأرض قاحلة يابسة، فإذا أنزلنا عليها الماء دبت فيها الحياة وتحركت وزادت وارتفع سطحها بما تخلله من الماء والهواء، وأظهرت من أصناف النباتات ما يروق منظره ويبهر حسنه ويبتهج المرء لرؤياه.

* تلك الآيات الخمس التى ذكرنا، وغيرها فى القرآن الكريم كثير، تؤصل بالدليل الشرعى وجوب الإحساس بوجود الله تعالى، بل قوة الإحساس بوجوده سبحانه وتعالى، عند تأمل الإنسان لأى مفردة من مفردات الكون الذى يعيش فيه.

* ومن قوى إحساسه بوجود الله تعالى صفت روحه وامتلأ قلبه إيمانا، وتخلص عقله من شوائب الشرك والكفر والضلال، واستقامت حياته على المنهج الذى كلف الله به عباده، فحصل بذلك على سعادة الدنيا والآخرة.

وما النتيجة لهذا الإحساس القوى بوجود الله؟

إن التربية الإسلامية للروح على هذا النحو من قوة الإحساس بوجود الله تعالى تجعل الإنسان لايتلقى عن غير الله سبحانه ولايخضع إلا له، ولايرضى بمنهجه – الذى أتمه وأكمله وأنزله على خاتم رسله محمد ﷺ – بديلا.

* إن هذا التلقى عن الله وحده دليل على صدق إحساسه القوى بوجود الله تعالى، وعلى تذكره الدائم لله ومنهجه. ومالم يفعل ذلك، فإن الله تبارك وتعالى يصفه بأنه عندئذ يكون قد ظلم نفسه إذ حاد بها عن الحق وعن الهدى، ونسى أو تناسى ما يحيط به من الدلائل والبينات، ومثل هذا لاتفلح فيه آيات ولا بينات قال الله تعالى:

﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفى آذانهم وقرا، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبدا﴾[1].

* وكل هذه الآيات التى تعمق الإحساس بوجود الله تعالى من يتجاهلها أو يتناساها يعرض نفسه للفتنة إذ يحيطه الله تعالى بهذه النعم فلا يتعظ ولايستجيب، فإذاً هو موضع لعذاب الله وعقابه، قال الله تعالى:

﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾[2].

* ومن ألهتْه نعم الله عليه عن الإحساس بوجوده والإيمان به كان من المستدرَجين، فقدروى الإمام أحمد والطبرانى والبيهقى بأسانيدهم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إذا رأيتم الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون، على معاصيهم فإنما ذلك استدراج لهم**».

* ومن أعرض عن الله تبارك وتعالى وعن ذكره ومنهجه وأدلته وبراهينه،

---

(١) سورة الكهف: ٥٧.

(٢) سورة الانعام: ٤٤ - ٤٥.

توعده الله تعالى بعقوبات ثلاث، فقد روى عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**عقوبة المعصية ثلاثة: ضيق المعيشة، والعسر فى الشدة، وأن لايتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله تعالى**»[1].

وقد قال الله تعالى يتوعد هذا المعرض الناسى بعقوبتين إحداهما دنيوية والأخرى أخروية:

﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾[2].

والضنك: الضيق والشدة،

والعمى: سقوط الحجة،

وتنسى: أى عاملناك معاملة من ينساك ليكون الجزاء من جنس العمل.

وعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، ولذلك قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: «**إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**».

وبعد:

فتلك نتيجة الإحساس القوى بوجود الله تبارك وتعالى وهى التلقى عنه وحده سبحانه وتعالى، والروح التى تربّى على ذلك تسعد فى الدنيا والآخرة.

---

(١) ذكر ذلك الحديث فخر الدين الرازى فى التفسير الكبير: ١١٣/٢٢ مرجع سابق.

(٢) سورة طه: ١٢٦ - ١٢٩.

ثانيا: الشعور بمراقبة الله تعالى للناس

إن الروح عندما تشعر بمراقبة الله تعالى لها، تستقيم على صراطه وتسعد بطاعته وتستبشر برضاه ومغفرته.

* وقد خلق الله تعالى هذه الروح وطالب عبده بأن يزكيها، فقال تعالى: ﴿**قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها**﴾[1].

– والفلاح: الظفر وإدراك البغية، في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة وهي:

البقاء،

والغنى،

والعز،

والعلم.

وفي الآخرة: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل.

وفي ذلك كله فلاح الروح بقربها من الله، وهذا القرب يستدعي أن تشعر هذه الروح بمراقبة الله تعالى لها.

– وزكاها: أي طهرها بالطاعات وعمل الخير، بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة.

– وقد خسر من أخفى فضائل نفسه وأمات استعدادها للخير.

(١) سورة الشمس: ٩ – ١٠.

[أ] معنى مراقبة الله تعالى لنا

* ومراقبة الله تعالى لنا -فيما نقول وفيما نعمل- تعنى أنه سبحانه وتعالى، قد أوضح لنا من خلال المنهج ما نقول وما نفعل، ويسر لنا معرفة الشروط والآداب لكل قول وعمل، بأن أرسل إلينا الرسول الخاتم ﷺ ليفصل لنا المنهج، ثم أعطانا الله تعالى الحرية والإرادة فى أن نطيع أو نعصى، ثم أخذ يراقبنا ليحاسبنا على ما قدمنا من قول أو عمل، ثم يجازينا على الخير خيرا وعلى الشر بمثله.

* ومراقبة الله تعالى لنا تعنى حبه لنا وحرصه على خيرنا فى الدنيا والآخرة، إذ لو تركنا دون مراقبة ومتابعة، فإن أرواحنا تغفل أو تفتر، وتبتعد عن التزكية وتهمل الأخذ بالمنهج، فمن رحمته بنا أنه يراقبنا لنلتزم.

* والذى يشعر بمراقبة الله تعالى يحاسب نفسه أولا بأول، ويلزم نفسه بما يجب أن تلتزم به من أمر ونهى، بحيث يستعمل أعضاءه السبعة:

- العين،
- والأذن،
- واللسان،
- والبطن،
- والفرج،
- واليد،
- والرجل.

يستعملها جميعا فيما أحل الله أو أمر، ويمنعها جميعا عما حرم الله أو منع.

ومن معانى مراقبة الله تعالى لنا، أن يجعلنا أهلاً لذكره والعمل بمنهجه، وعلى استحياء أو خوف من أن يرانا على غير ذلك.

والمعيار الذى يصحح للمسلم عمله دائما هو أن يسأل نفسه تلك الأسئلة التى سنذكر بعد قليل، ويحاول أن تكون إجابته عليها مرضية لله، فإنه بذلك يصحح عمله.

وهذه الأسئلة هى:

– لماذا أقوم بهذا العمل؟

والإجابة يجب أن تكون: لأن الله أمر به أو ندب إليه.

– وهل أقوم بهذا العمل لله؟

والإجابة يجب أن تكون: نعم له لا لغيره.

– ولماذا أترك هذا العمل؟

والإجابة يجب أن تكون: لأن الله تعالى حرمه أوكرّه فيه.

– وهل أترك هذا العمل من أجل الله؟

والإجابة يجب أن تكون: نعم من أجله لا من أجل غيره.

– وكيف أقوم بهذا العمل؟

والإجابة يجب أن تكون: أقوم به على الكيفية التى شرعه عليها وبالقدر والكم الذى أمر به.

– وهل راعيت فى القيام بالعمل شروطه وآدابه؟

والإجابة يجب أن تكون: نعم.

* ومن تصحيح العمل وتسديده ما جاء فى السنة النبوية المطهرة عن الصفات التى يجب أن يكون عليها العمل ليستكمل الإنسان بها الإيمان، ما رواه الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه:

لايخاف فى الله لومة لائم،

ولا يرائى بشىء من عمله،

وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة اثر الآخرة على الدنيا».

* إن توفر هذه الصفات الثلاثة فى العمل دليل على أن الإنسان يشعر بأن الله تعالى يراقبه.

* ومن أصدق الضوابط للشعور بمراقبة الله تعالى لنا، أن يوقن الإنسان أن الله تعالى قد جعل لكل شىء قدرا، وجعل لكل شىء سببا، وخلق كل شىء فقدره تقديرا، وأنه سبحانه قد وضع لكل قول أو صمت ولكل عمل أو ترك شروطا وآدابا، وأنه سبحانه يرضى عن عبده الطائع.

إذا أيقن الإنسان بهذه الحقائق جاء قوله وصمته وعمله وتركه موافقا لما شرط الله تعالى، ولما وضع من آداب، فكان ذلك من علامات شعوره بأن الله تبارك وتعالى يراقبه ويتابعه. وليكن رائده فى ذلك قوله تعالى: **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾**[1] فلله تعالى فى كل أمر حدود يجب أن تُراعى وتُلتزم فهو سبحانه الرقيب الحسيب المجازى.

* ومن معانى مراقبة الله تعالى لنا، أن يجد الإنسان نفسه ملزما بأن يتفقد

(١) سورة الطلاق: ٢.

كل أمور حياته، فلا يخرج بها عن فائدة تعود عليه فى دينه أو دنياه أو كليهما.

- فقد روى الإمام أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لايكون المؤمن ظاعنا إلا فى ثلاث:**

- تزود لمعاد،

- أو مرمة لمعاش،

- أو لذة فى غير محرم»

وأخرجه ابن حبان فى صحيحه، وأخرجه الحاكم فى مستدركه.

[ب] تأصيل هذه المراقبة بالنصوص الإسلامية

الآيات القرآنية الكريمة الدالة على أن الله تبارك وتعالى يراقبنا كثيرة نذكر منها مايلى:

- قال الله تبارك وتعالى:

﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1].

- وقال جل شأنه:

﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لايقضون بشىء﴾[2].

وقال عز من قائل:

﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسي شيئاً، وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[3].

---

(١) سورة ق: ١٨:

(٢) سورة غافر: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

وقال عز وجل:

﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم﴾[1].

- وقال جل وعلا:

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحدا إلا الله، وكفى بالله حسيبا﴾[2].

- وقال سبحانه وتعالى:

﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما﴾[3].

- وقال الله تعالى:

﴿... واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[4].

- وقال سبحانه:

﴿وكفى بالله حسيبا﴾[5].

- وقال عز من قائل:

﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾[6].

- وقال جل شأنه:

﴿يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٥.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٩.
(٣) سورة الأحزاب: ٥٤.
(٤) سورة النساء: ١
(٥) سورة النساء: ٦.
(٦) سورة النساء: ٨٦.

فيها وهو معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على هذا المعنى، وهى عشرات بل مئات، وحسبنا بالآيات التى تختم بقوله تعالى: «سميع» أو «بصير» أو «عليم».

تلك آيات القرآن الكريم التى أصلت مراقبة الله لعباده.

وأما الأحاديث النبوية الشريفة المؤصلة لمراقبة الله تعالى لعباده فأكثر من أن أحصيها فى هذا الكتاب، ولكن أذكر منها مايلى:

– روى الترمذى والنسائى وابن ماجة بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيام من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظروا هل لعبدى من تطوع؟ فيكتمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك**».

– وروى أحمد والطبرانى بسنديهما عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**».

– وروى النسائي بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء**».

– وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول

---

(١) سورة الحديد: ٤.

الله ﷺ: «**نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال أين الأمة الأمي نبيها، فنحن الآخرون الأولون**».

– وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى رضى الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا، قريبا وهو معكم**».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقال له: ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا؟ فيقول: لا فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتنى**».

* وملاك المراقبة – أى شعور العبد بأن الله يراقبه – جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه أهل السنن وهو حديث تعليم جبريل عليه السلام لنا: ما الإيمان وما الإسلام وما الإحسان، فقد جاء فيه عن الاحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

* والشعور بأن الله تعالى يراقبنا يحدث فى المؤمن نتائج بعينها، كلها خير له بإذن الله تعالى، فما هذه النتائج.

[حـ] نتائج الشعور بمراقبة الله للناس

إذا شعر المؤمن بأن الله تبارك وتعالى يراقبه فإن ذلك يحدث فى نفسه نتائج

طيبة تحسب له بإذن الله تبارك وتعالى:

ومن هذه النتائج ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

الأولى: **الإخلاص**:

ويقتضى الإخلاص تطهير الباطن والظاهر من الإنسان.

* فتطهير الباطن بطرد الشك والتردد، والنفاق والرياء، وكل رذيلة تخفى على الناس فى الإنسان، لأن الله تعالى مطلع عليها، ولاتخفى عليه خافية.

* وتطهير الظاهر: إنما يكون بالاستجابة لكل ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، قال الله تعالى: ﴿**وثيابك فطهر، والرجز فاهجر**﴾[1].

وهذه الآية توحى لنا بضرورة طهارة الظاهر «الثياب» وضررورة طهارة الباطن «الرجز فاهجر».

والنتيجة الثانية: **الاستسلام للوحى**.

* ويقتضى هذا الاستسلام لوحى الله على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، اليقين بصحة كل ما جاء فى هذا الوحى – الكتاب والسنة – واليقين بأنه لايتناقض مع العقل بحال، العقل السليم من الشطط، والفطرة السليمة من الزيغ والانحراف.

* ومن جعل الوحى مصدره لايضل أبدا، ولايفتن عن شرع الله بقوانين الناس وأنظمتهم، التى وضعتها عقولهم مستقلة عن وحى الله.

والفتنة بالعقل ضلال وضياع، كما أن إهمال العقل ضلال أيضا وكيف يهمل وهو مناط التكليف؟

---

(١) سورة المدثر: ٤، ٥ .

– ولقد فتن بالعقل كثيرون من الناس ففضلوا ما توصل إليه العقل على ماجاء به الوحى!!

– وفتن عن الوحى آخرون ففضلوا الوجد والكشف والباطن على وحى الله تعالى.

– وفتن بالعقل آخرون فقالوا: إذا تعارضت السياسة مع الشرع قدمت السياسة على الشريعة.

وكل هذه الطوائف قد ضلت فيما ذهبت إليه.

– وقد كان ذلك شأن بعض الناس قديما، ولايزال ذلك شأن بعضهم حديثا فى المجتمع المسلم.

* فى الماضى: نعى الإمام ابن القيم على هؤلاء فتنتهم عن الوحى والشريعة فقالك «... هؤلاء يقولون: لكم النقل –أى الشرع– ولنا العقل، والآخرون يقولون: أنتم أرباب الظاهر ونحن أهل الحقائق، والآخرون يقولون: لكم الشرع ولنا السياسة.

فيالها من بليّة عَمَّتْ فأعمت، ورزية رَمَتْ فأصمت، وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون، وأهوية عصفت فصمت منها الآذان وعميت منها العيون، وعطلت لها والله معالم الأحكام»[(1)].

وفى الحاضر: نستطيع أن نقول لأهل زماننا بعد الإمام ابن القيم بما يقرب من سبعة قرون هجرية:

إنكم تقولون لنا: لكم النقل ولنا العقل، مع أن النقل لا يعارض العقل.

---

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٧٣/٢ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

وبعضكم يقول: لكم الشريعة ولنا السياسة، والسياسة جزء من الشريعة وإحدى مفرداتها فى التعامل مع الناس.

وبعضكم يقول: لكم الرجعية ولنا التقدمية، وما كان دين الله ليرضى بالرجعية والجمود والنكوص والعيش فى الماضي وإهمال الحاضر، وهو الدين الكامل التام الذى رضيه الله للبشرية كلها ديناً حتى يوم القيامة أى انتهاء المستقبل الدنيوى للبشرية.

وبعضكم يقول: لكم عالم الغيب ولنا عالم الواقع، ولولا الإيمان بالغيب ما تهذب سلوك ولاستقام عمل ولا رغب فى جنة ولاخيف من نار.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

والنتيجة الثالثة: **هى الاستقامة.**

إن من شعر أن الله يراقبه استقام على منهج الله والتزم أن يقوم بكل ما أمر الله به، وأن يمتنع عن كل ما نهى الله عنه، وبهذا يسلم المجتمع من عيوبه وآفاته، ومن فاسقيه وفاسديه وأهل البدع والأهواء.

ثالثا: مراقبتنا نحن لله تعالى

من الضرورى للإنسان المؤمن أن يراقب الله تعالى فى كل ما يقوم به من قول وعمل وصمت وترك.

* ولاترقى روح المؤمن وتشف وتصفو من الأكدار إلا بأن تراقب الله تعالى كما يراقبها سبحانه وتعالى. إنها إن تفعل فقد مارست الإحسان بشقيه اللذين أوضحتهما السنة النبوية المطهرة فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثبات... إلى أن قال... «قال أخبرنى عن الإحسان، قال: **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...**».

* وسوف نحاول فى هذه الصفحات أن نوضح معنى مراقبة الإنسان لربه سبحانه وتعالى، ونؤصل هذا المعنى بالنصوص الإسلامية ثم نرصد النتائج المترتبة على مراقبتنا لله تعالى والله المستعان.

(أ) معنى مراقبة الإنسان لربه.

إذا راقب الإنسان ربه تركت فيه هذه المراقبة أحسن الآثار، لأنها تولد فى نفسه حب الله وحب التقرب إليه، وتعلمه أن يخاف الله ويخاف معاصيه.

ومعنى هذه المراقبة أن يحسن الإنسان نيته وأن يطهرها من كل ما يغضب الله، وإذا حسنت النية حسن العمل، وعندئذ يقبل الله منه ويرضى عنه، والنية أساس فى العمل الصالح، فقدروى البخارى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل**

امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه».

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**».

* ومن معانى مراقبة العبد لربه سبحانه وتعالى أن لايأتى من العمل إلا ما يحبه الله ويرضى عنه، والقاعدة العامة فى ذلك هى أن الله تعالى يحب أن يجد عبده حيث أمره، ولايجده حيث نهاه، والأحاديث النبوية النبوية التى توضح ما يحب الله تبارك وتعالى كثيرة، ومن أهمها فيما نحن بصدده ما يلى:

– روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها**».

– وروى أبو داود بسنده عن يعلى بن أمية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى حَيِيٌّ يحب الحياء والستر..**».

– وروى البيهقى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**».

– وروى الإمام أحمد بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى**».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء**».

– وروى النسائى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده، لايؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**».

– وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده لايؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه**».

* ومن معانى مراقبة الإنسان لربه أن يسرع بالندم والتوبة إن أتى عملا أخطأ فيه أو خالف فيه أمر الله، وكل بنى آدم خطاءون ولكن خير الخطائين التوابون».

والتوبة قد طالبنا الله تعالى بها لأنه يعلم ضعفنا وسرعة وقوعنا فى الخطأ، فقال تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿**يأيها الذين امنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار.**﴾[2].

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة**».

كل تلك من معانى مراقبتنا لله تبارك وتعالى، وهى كلها معانٍ مؤصلة شرعا وقامت عليه الأدلة من النصوص الإسلامية على النحو الذى سنبينه فيما يلى.

[ب] تأصيل مراقبتنا لله تعالى بالنصوص الإسلامية

إن رأس مراقبتنا لله تعالى هى تقواه وخوفه، فإذا حدث ذلك دل على أن مراقبتنا لله تعالى قائمة فى حياتنا، ودل على فعالية هذه المراقبة وقدرتها على

(١) سورة النور: ٣١.
(٢) سورة التحريم: ٨.

تحسين السلوك وتقويم الخلق.

* والنصوص الإسلامية التى تعزز هذا، وتوضح لنا أن الأصل أن نراقب الله ونتقيه ونعمل ما يرضيه، كثيرة نذكر منها ما يلى:

- قال الله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون، ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾**(١) وما يكون ذلك إلا بمراقبة الله تبارك وتعالى.

- وقال عز وجل: **﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**(٢).

- وقال عز وجل: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**(٣).

- وقال عز من قائل: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون﴾**(٤).

- وقال سبحانه وتعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾**(٥).

- وروى الترمذى بسنده عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس مَنْ طال عمره، وحسُن عمله»**.

وبعد: فتلك هى بعض النصوص الإسلامية التى تؤصل وتؤكد وجوب مراقبة

---

(١) سورة الحشر: ١٨.
(٢) سورة التحريم: ٦.
(٣) سورة التوبة: ١١٩.
(٤) سورة المائدة: ٣٥.
(٥) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

العبد لربه سبحانه وتعالى، وما أوجب الله تعالى ذلك إلا لما فيه من إصلاح للإنسان فى معاشه ومعاده. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

فما تلك الفوائد أو تلك النتائج لمراقبتنا لله تعالى؟

[حـ] نتائج مراقبتنا لله تعالى

إن من راقب الله تبارك وتعالى فى قوله وفعله، قادته تلك المراقبة إلى الحذر من الوقوع فى الخطأ، وإلى وقاية نفسه من كل ما يغضب الله تعالى، فى عمله كله.

النتيجة الأولى: أن تربية الروح على ذلك تولد فيها التقوى، وتقوى الله تعالى مفتاح كل خير ومغلاق كل شر.

– أما أنها مفتاح الخير، فلأن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[1] وذلك من الخير فى الدنيا.

ويقول جل شأنه: **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله، والله بكل شىء عليم﴾**[2] وذلك من خير الدنيا والآخرة.

ويقلو جل وعلا: **﴿قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم، للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[3] وذلك من خير الدنيا كذلك.

ويقول سبحانه وتعالى: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**[4]

---

(١) سورة الاعراف: ٩٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) سورة الزمر: ١٠.

(٤) سورة النحل: ١٢٨.

ذلك من خير الدنيا والآخرة، فمعية الله أفضل وأرجى لكل خير.

* ويقول جل شأنه: ﴿**لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد**﴾[1] وهذا من خير الآخرة.

والآيات القرآنية التى تثبت للمتقين النجاح والفلاح والفوز بخير الآخرة كثيرة.

* إن من ربيت روحه على تقوى الله تعالى ربح الدنيا والآخرة. تلك حقيقة مؤكدة فى النصوص الإسلامية من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والنتيجة الثانية: أن تربية الروح على هذه التقوى تولد فى النفس الشعور بأن للإيمان والتقوى حلاوة، وأن مراقبة الله تعالى هى التى تعطى هذا الشعور.

وقد قرر أسلافنا من العلماء أن من راقب الله فى سره حفظه الله فى كل حركاته فى سره وعلانيته، ومن حفظه الله فى حركاته فى السر والعلن ذاق طعم الايمان وحلاوته، ومن راقب الله رضى به ربًا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبهذا الإسلام العظيم دينا، ومن رضى بذلك عرف طعم الإيمان بل ذاقه.

- روى الإمام مسلم بسنده عن العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا**».

- وروى النسائى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:**

أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما،

---

(١) سورة الزمر: ٢٠.

وأن يحب المرء لايحبه إلا لله.

وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى فى النار».

ورواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة.

والنتيجة الثالثة:

أن تربية الروح على مراقبة الله تعالى، تحمل الإنسان على الإحسان فى كل عمل يقوم به، ولكل إنسان يتعامل معه، لأن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء.

– روى مسلم بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**».

– وروى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيًا، ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**».

– وروى الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن أبى قراد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله، فأدوا إذا أئتمنتم واصدقوا إذا حدثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم**».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما،**

ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».

– وروى ابن النجار[1] بسنده عن على رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك**».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين**».

* ومحصلة هذه النتائج أن يكون الإنسان محسنا، أى جامعا لمعنى الإحسان الذى ورد فى الحديث النبوى الشريف الذى كان حوارا بين جبريل عليه السلام، والنبى ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.... **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

* هذه المراقبة للإنسان هى التى تربى روحه تربية إسلامية، فإذا ضمت إلى الشعور بأن الله يراقب الإنسان، كان فى هذه وتلك سعادة الإنسان فى دنياه وآخرته لأنه بهما سيكون على المنهج وعلى الصراط المستقيم.

١– ابن النجار هو محمد بن محمود بن الحسن أبو عبد الله محب الدين بن النجار (٥٧٨– ٦٤٣هـ) مؤرخ حافظ للحديث من أهل بغداد، رحل إلى مصر والشام وفارس والحجاز، ومن كتبه:
الكمال فى معرفة الرجال.
والدرة الثمينة فى أخبار المدينة.ونزهة الورى فى أخبار أم القرى.
وهو غير ابن النجار محمد جعفر، وابن النجار محمد بن أحمد.

رابعا: التقرب إلى الله بالنوافل

سبق أن قلنا في الفصل الثانى من هذا الكتاب «دعائم التربية الروحية» إن من هذه الدعائم أداء الفرائض والإكثار من أداء النوافل... إلخ ما قلناه هناك.

ولكننا هنا نتحدث عن أهم الصفات في سمت المؤمن أى الصفات التى تميزه عن غيره من الناس عموما كالمشركين والكافرين وتميزه عن المسلمين غير الملتزمين من العصاة والمقصرين، وذلك أن المؤمن له طابعه وسمته اللذين أوضحتهما آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

* ولا يربى الروح ويصفيها من شوائبها وأدرانها مثل التقرب إلى الله تعالى، وتوثيق الصلة به سبحانه وتعالى.

وسوف نحاول توضيح المعنى للتقرب إلى الله بالنوافل، ثم نؤصل هذا المعنى بالنصوص الإسلامية، ثم نرصد نتائج هذا التقرب إلى الله بالنوافل فى الإنسان المؤمن، والله سبحانه هو المستعان.

[أ] معنى التقرب إلى الله بالنوافل

سبق أن قلنا: إن النافلة هى الزيادة على الفرض أو الواجب، وأن من رحمة الله بنا وحبه لنا أن جعل لنا من جنس كل فريضة نافلة لنزداد بأدائها قربا إليه تبارك وتعالى، وفصلنا ذلك فى مكانه من هذا الكتاب.

* ومعنى التقرب إلى الله بالنوافل أن الإنسان قد أطاع الله بأداء الفرائض، ثم أتاح لنفسه الفرصة بالتقرب إليه بأداء ما هو أزيد من الفرائض والواجبات حبًا فى الله تعالى، ورغبة فى الحصول على رضاه، وهذا المعنى واضح تماما فى الحديث النبوى الشريف.

– روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **إن الله تعالى قال: «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»**.

* ومن معانى التقرب إلى الله بالنوافل، الإقبال عليه سبحانه بما هو محبوب من الأعمال، إذ النافلة الزيادة من الأمر المحبوب. قال الله تعالى مخاطبا النبى ﷺ: **«ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا»**[1]

– والتهجد: الصلاة فى أثناء الليل،

– والنافلة الزيادة من الأمر المحبوب،

– والمقام المحمود هو ما ادخره الله تعالى لنبيه من شفاعة يوم القيامة.

– فقد روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا –أى جماعات– كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».

– روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: فى قوله «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» « **قال هى الشفاعة** ».

* ومن المعروف أن نافلة قيام الليل بالنسبة لرسول الله ﷺ واجب، وبالنسبة لسائر المسلمين سنة يتقرب بها الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٩.

* ومن معانى النافلة أنها باب واسع للحصول على رضا الله تعالى وثوابه، وأن أعمالا كثيرة من الخير يقوم بها المسلم فتحسب له نافلة يغفر الله بها ذنوبه، كالوضوء والصلاة والمشى إلى المسجد، وصلاة الضحى، والصلاة مع الجماعة بعد أداء الفريضة أحيانا - كما سنوضح هذا ببعض الأحاديث النبوية الشريفة.

- فقد روى مسلم بسنده عن عثمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ هكذا غُفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة**».

- روى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه سيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، ألا فصلّ الصلاة لوقتها ثم ائتهم، فإن كانوا قد صلوا، فقد أحرزت صلاتك، وإلا صليت معهم فكانت تلك نافلة**».

- وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مشى إلى صلاة مكتوبة فى الجماعة فهى كحَجَّة، ومن مشى إلى صلاة تطوع -وهى صلاة الضحى كما فى سنن أبى داود- فهى كعُمرة نافلة**».

- وروى النسائى بسنده عن يزيد بن الأسود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**... وإذا صليتما فى رحالكما، ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة**».

* ومن معانى النافلة أنها عمل صالح يجبر النقص فى الفرائض إن وقع فيها نقص.

- روى الحاكم بسنده -فى الكُنَى- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما افترض الله تعالى على أمتى الصلوات الخمس، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسألون عنه الصلوات الخمس، فمن كان ضيع شيئا منها، يقول الله تبارك وتعالى: انظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة؟ انظروا فى صيام عبدى شهر رمضان، فإن كان ضيع شيئا منه فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صيام تتمون بها مانقص من الصيام، وانظروا فى زكاة عبدى، فإن كان ضيّع شيئا فانظروا هل تجدون من صدقة تتمتون بها ما نقص من الزكاة، فيؤخذ ذلك على فرائض الله، وذلك برحمة الله وعدله، فإن وجد فضلا وضع فى ميزانه، وقيل له: ادخل الجنة مسرورا، وإن لم يوجد له شىء من ذلك أمرت به الزبانية فأخذوا بيده ورجليه ثم قذف به فى النار**».

[ب] تأصيل التقرب إلى الله بالنوافل

نحاول فى هذا المجال أن نذكر من النصوص الإسلامية ما يدل على أن التقرب إلى الله بالنوافل عمل محبوب يزيد من أجر من يقوم به.

وقد سبق أن قلنا إن النوافل من جنس الفرائض، فهى:

ذكر لله تعالى،

وصلاة،

وصيام،

وزكاة،

وعمرة،

وفى التقرب إلى الله بكل نافلة من هذه النوافل وردت بعض النصوص الإسلامية، ونذكر منها فى هذا المجال ما يقوم مقام الشاهد والمثال.

ففى ذكر الله وردت أحاديث كثيرة جدا نذكر منها:

– روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة**».

– وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ **قال: «إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى، وتحركت بى شفتاه»**.

– وروى البيهقى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه كان يقول: «**إن لكل شيء صقالة (أى ما يصقله ويجلوه)، وإن صقالة القلوب ذكر الله، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع**».

* وفى نوافل الصلاة وردت أحاديث نبوية عديدة نذكر منها ما يلى:

– روى النسائى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ومن ثابر على ثنتى عشرة ركعة فى اليوم والليلة دخل الجنة: أربعا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر**».

– وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**من صلى العشاء الآخرة فى جماعة، وصلى أربع ركعات قبل أن يخرج من المسجد كان كعدل ليلة القدر**».

- وروى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة الليل مشهودة محضورة، وذلك أفضل**».

* وفى نافلة الصيام، نذكر من الأحاديث النبوية ما يلى:

- روى عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسأله رجل فقال: أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟

فقال له: ما سمعت أحداً يسأل عن هذا إلا رجلا سمعته يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده، فقال: يا رسول الله أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: «**إن كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم، فإنه شهر الله، فيه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين**».

- وروى النسائى بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال:

قلت يا رسول الله: لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «**ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم**».

- روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**».

* وفى نافلة الصدقات، نذكر من الأحاديث النبوية ما يلى:

- وروى الترمذى بسنده عن سعيد بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد، وتصديق ذلك فى كتاب**

الله: ﴿ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات﴾ ﴿ويمحق الله الربا ويربى الصدقات﴾».

– وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تُرزقوا وتُنصروا وتُجبروا**».

– وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليق أحدكم وجهه النار، ولو بشق تمرة**».

* وفى نافلة العمرة نذكر ما يلى:

– روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له أجر إلا الجنة**».

– وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**جهاد الكبير، والضعيف والمرأة، الحج والعمرة**».

– وروى البزار بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم**».

* هذه النصوص الإسلامية هى التى أصّلت موضوع التقرب إلى الله بالنوافل، ولو شئنا أن نستقصى هذه النصوص لما وسعتنا هذه الصفحات.

جـ- نتائج التقرب إلى الله بالنوافل

التقرب إلى الله تعالى له نتائج طيبة تعود على الفرد وعلى المجتمع، بل على

الأمة الإسلامية كلها، والتقرب إلى الله إنما يكون بأداء الفرائض والنوافل كما سبق أن أوضحنا.

* والنوافل جميعا سُنَن سنها رسول الله ﷺ وحبب المسلمين فى أدائها، وحدَّث أن الله تبارك وتعالى يثيب عليها أحسن الثواب.

* وإذا عادت النوافل على الفرد بالفائدة الدنيوية والآخروية، فقد استفاد المجتمع الذى يعيش فيه،، والأمة الإسلامية التى ينتمى إليها.

* ونستطيع أن نحدد من فوائد التقرب إلى الله بالنوافل فائدتين كبيرتين هما:

الفائدة الأولى:

الحصول بأداء النوافل على ثواب الله تعالى، وليس هناك شك فى ذلك، لأن النبى ﷺ أخبر بذلك فى كثير من أحاديثه الشريفة التى نذكر منها ما يلى:

– روى الترمذى بسنده عن عمرو بن عوف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث يوما: «**أعلم يا بلال، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: أعلم أن من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا**».

– وروى ابن حبان فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل عمل شرَّة (أى نشاط)، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**».

- وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من سَنّ سُنّة حسنة فله أجرها ما عمل بها فى حياته وبعد مماته حتى تترك، ومن سَنّ سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك، ومن مات مرابطا جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث يوم القيامة**».

- وروى البيهقى بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد**» . وفى رواية للطبرانى فى الكبير «.... **فله أجر شهيد**».

- وروى الحاكم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل طيبا، وعمل فى سنّة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة» قالوا: يا رسول الله: إن هذا فى أمتك اليوم كثير، قال: «وسيكون فى قوم بعدى**».

ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب: الصمت.

* وما دامت النوافل التى يتقرب بها العبد إلى الله سننا نبوية -كما أوضحنا- فإن الجزاء الحسن على أدائها وعد من رسول الله ﷺ فيما أخبر به عن الله تعالى.

والفائدة الثانية:

التعرض لرحمة الله ومغفرته وتأييده ونصره، وهذه الفائدة أهم من سابقتها، وذلك أنها تعود على الفرد والمجتمع، وعلى الأمة الإسلامية كلها.

* والمجتمع المسلم يعانى دائما من أعدائه وكذلك الأمة المسلمة، ومواجهة هؤلاء الأعداء وما يزيفون به على الناس من باطل. ويحتاج المسلمون فى ذلك

إلى رحمة الله ومغفرة الذنوب، لأن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه كما قال ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

ويحتاجون إلى تأييد الله ونصره فى هذه المعارك، وما لم يحظوا بهذا التأييد من الله فلن يجدى عليهم كثرة عدد ولا تقدم عدة وآلة عسكرية.

* ولا يمكن المسلمين من الانتصار على عدوهم مثل التقرب إلى الله تعالى بالنوافل، فإذا تقرب المسلمون إلى الله بالنوافل وسألوا الله النصر بالأسحار وهم يتهجدون أجابهم الله تعالى إلى ما طلبوا.

– فقد روى الإمام مسلمٌ بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حين يضىء الفجر**».

وأخرجه البخارى، ومعظم أصحاب السنن..

* وإذا جاهد المسلمون أعداءهم، واتبعوا فى الجهاد شروطه وسننه كان نصر الله قريبا منهم بل محققا لهم، ما داموا مخلصين فى جهادهم فى سبيل الله ومن أجل تمكين دينه.

– قال الله تعالى: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز**﴾[1] فهذا وعد من الله لعباده الصالحين بالنصر.

– وقال جل شأنه: ﴿**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**﴾.[2] فهذا وعد من الله

---

(١) سورة الحج: ٤٠.

(٢) سورة الروم: ٤٧.

للمؤمنين بالنصر كذلك.

- وقال عز وجل: **﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون﴾**[1].

* ولقد وعد الله المتقربين إليه بالجهاد فى سبيله أن ينصرهم بل يعطيهم غنائم أعدائهم، ومن مات منهم فى سبيله غفر الله له.

- روى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: **﴿المجاهد فى سبيلى هو علىّ ضامن، إن قبضته أورثته الجنة وإن رجعته، رجعته بأجر أو غنيمة﴾**.

- وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج فى سبيله، لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة...»**.

وبعـــــد:

فإن تربية الروح على حب النوافل والتقرب إلى الله بها بعد أداء الفرائض، هى التى تقرب المسلم من ربه، وتجعله عرضة لرحمة الله تعالى، يغيثه، ويستجيب له ويؤيده وينصره.

---

(١) سورة الصافات: ١٧١ - ١٧٣.

خامسا: الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم

التقرب إلى الله تبارك وتعالى بحب الناس وحب الخير لهم عبادة له سبحانه وتعالى، واستجابة لما أمر به وحبب فيه.

* وقد جاء الإسلام بما يؤكد أن المؤمنين إخوة، ولا يربط الإخوة شيء مثل الحب، ولا يدعم هذه الإخوة فى الإسلام مثل التواد والتحاب فى الله.

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[1] وللأخوة حقوق وواجبات يغلفها الحب المتبادل بين المسلمين[2].

- وروى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

* وفى وجوب الخير، جاء قول الله تعالى يخاطب المؤمنين، قال تبارك وتعالى:

﴿**يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾[3].

فماذا نعنى بالإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم؟

[أ] معنى الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم:

إن حب الناس عموما وحب المؤمنين منهم على وجه الخصوص من

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) انظر للمؤلف: فقه الأخوة فى الإسلام. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) سورة الحج: ٧٧

صحيح ما دعا إليه الإسلام، وحبب فيه رسول الله ﷺ.

أما حب الناس عموما فمطلوب لكى نوجه إليهم الدعوة، وأما حب المؤمنين على وجه الخصوص فلكى يكون بينهم تعاون على البر والتقوى، ولما بين المؤمنين من أخوة تستوجب الحب فى الله.

* وقد كان الحب الذى ربط بين المهاجرين والأنصار مضرب المثل فى تاريخ البشرية كلها، ولقد وصف الله تبارك وتعالى هذا الحب فى قوله تعالى عن الأنصار:

﴿والذين تبوءوا والدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[1].

– وروى البيهقى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء، لا يحبه إلا الله»**.

– وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أوثق عُرى الإيمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله عز وجل»**.

* ومن معانى الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم، أن الله تبارك وتعالى يجزى محب الخير والدال عليه أحسن الجزاء.

– روى البيهقى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله»**.

---

(1) سورة الحشر: ٩.

- وروى أبو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من أمرئ يخذل امرءا مسلما فى موطن يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلما فى موطن يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته»** .

- وروى النسائى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«والذى نفسى بيده، لايؤمن عبد حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه من الخير»** .

- وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»**.

* ومن معانى حب الناس وحب الخير لهم، التعاون معهم على البر والتقوى، ورفض التعاون معهم على الإثم والعدوان.

- قال الله تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الؤثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾**[1] .

- وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»** .

- وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نفّس عند مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر**

---

(١) سورة المائدة : ٢ .

مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه» .

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لاتكونوا عون الشيطان على أخيكم**» .

* ومن معانى حب الناس وحب الخير لهم أن يكونوا رحماء فيما بينهم، فذلك مما دعا إليه الإسلام وحبب فيه، والرحمة بين المسلمين صدقة امتدحها الله تعالى فى الرسول ﷺ وأصحابه، فقال تبارك وتعالى:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[1] .

– وطالب رسوله ﷺ بأن يكون رحيما بالمؤمنين فقال تعالى:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[2] .

– وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن جرير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» .

[ب] تأصيل حب الناس وحب الخير لهم :

النصوص الإسلامية التى تؤصل وجوب حب الناس وحب الخير لهم كثيرة. نذكر منها مايلى:

– روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»** .

(1) سورة الفتح : ٢٩ .
(2) سورة آل عمران : ١٥٩ .

– وروى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** » .

– وروى الإمام مسلم بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىّ، والمتجالسين فىّ، والمتزاورين فىّ، والمتباذلين فىّ**» .

– وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء، الرحم شُجْنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله**» .

– وروى الترمذى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردىء البَصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة**» .

– وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله عز وجل يقول يقوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال يارب: وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم: استطعمتك فلم تطعمنى، قال : يارب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت**

أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يارب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى؟» .

– وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: «**يارسول الله: متى الساعة؟ قال: ماأعددت لها؟ فقال: ما أعدت لها كثير صلاة ولاصيام، إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال له رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب**».

قال أنس : «فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك».

* وحب الناس وحب الخير لهم ينبغى أن يكون نابعا من حب الله ورسوله، فحب الله ورسوله هو الإيمان وهو الإسلام وهو الالتزام بالمنهج وهو الذى يؤدى إلى حب الناس وحب الخير لهم، وتلك حقيقة أساسية فى الدين قامت على تصديقها النصوص الإسلامية.

– قال الله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين**﴾[1] .

– وقال الله تعالى: ﴿**والذين آمنوا أشد حبا لله**﴾ [2] .

– وقال جل شأنه: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره**﴾[3] .

---

(١) سورة المائدة : ٥٤.
(٢) سورة البقرة : ١٦٥.
(٣) سورة التوبة : ٢٤.

- وقال عز وجل: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [1] .

وبعد فتلك هى النصوص الإسلامية التى تؤصل وجوب حب الناس وحب الخير لهم.

* وإذا كان حب الناس وحب الخير لهم قد تأيد بهذه النصوص من الكتاب والسنة، فما نتائج هذا الإقبال؟

هذا مانحاول الحديث عنه بإيجاز فى الصفحات التالية، والله المستعان.

[ج] نتائج الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم

لهذا الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم نتائج ثلاثة، نحاول أن نتحدث عنها بإيجاز فيما يلى:

النتيجة الأولى:

أن يقبل الناس على منهج الله ونظامه، مستجبين لما يطالبهم به هذا المنهج من إيمان وإسلام واستقامة على طريق الحق، وتعامل مع الناس بالحسنى.

* إن حب الناس وحب الخير لهم هو الذى يهيئ لهم قبول الحق واتباعه، لأن هذا الحب لهم يرقق قلوبهم ويشعرهم بما يضمره لهم الإسلام والمسلمون من خير.

* وإن الدعوة إلى الله لا تثمر ولا تؤتى أكلها بمثل ما تتقدم بحب المدعوين وحب الخير لهم، إذ من أوليات الدعوة إلى الله ومسلماتها، الموعظة والقول اللين، والرفق ومعونة من يحتاج إلى عون، وغوث من يحتاج إلى إغاثة. فتلك من الدعائم الخلقية التى يقوم عليها الإسلام كله، والدعوة إلى الله بوجه خاص.

---

(١) سورة المائدة : ٥٦.

* والنصوص الإسلامية المؤيدة لذلك أكثر من أن تحصى هنا، وقد أوردنا بعضها فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

* ولايقبل الناس على الإيمان والإسلام والالتزام بالمنهج إلا إذا شعروا أن الدعاة يحبونهم ويحبون الخير لهم، ولا يستطيع الدعاة إلى الله أن يصلوا إلى قلوب الناس إلا إذا أحبوا الناس، وأحبوا الخير لهم.

والنتيجة الثانية :

أن يستطيع الناس الذين قُدم لهم هذا الحب، وهذا الخير، أن يسهموا مع الدعاة فى بناء الحضارة الإسلامية التى تتميز بأنها حضارة إنسانية، لاتعرف تمييزا بين جنس وجنس من الناس، ولا بين لون ولون.

* وإن الإسهام فى الحضارة الإسلامية الإنسانية ليتيح للناس أحسن الفرص لكى يعيشوا حياة إنسانية كريمة، تلائم تكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله على كثير مما خلق.

* والحضارة الإسلامية تقوم على مرتكزات جوهرية نستطيع أن نذكر منها ما يلى :

١ - احترام الإنسان وتقديره، وتقدير حرياته جميعا،

٢ - احترام العقل وإطلاقه من إسار التقليد،

٣ - وتقدير العلم والاهتمام به، والمضى فى طريقه إلى أقصى مدى يستطيع أن يصل إليه عقل الإنسان.

٤ - وتشجيع الإنسان على أداء واجباته ومعونته فى ذلك ما أمكن.

٥ - واعتبار الأسرة وحدة المجتمع، وتنقية العلاقات الاجتماعية من الشوائب والسلبيات.

٦ - وإقرار العدل والإحسان والشورى.

٧ - وحسن التعامل مع غير المسلمين.

٨ - والاستمرار فى تربية الإنسان تربية مستمرة من المدرسة إلى المسجد إلى المجتمع كله حتى يلقى الله.

٩ - وحسن التعامل مع مفردات الكون الذى يعيش فيه، والذى سخر الله له كل ما فيه.

١٠- والعمل لما بعد الموت.

* وهذا بالإضافة إلى أن لب الحضارة الإسلامية هو الإيمان بالله تعالى والإسلام له والالتزام بمنهجه.

والنتيجة الثالثة :

هى الإسهام فى التمكين لدين الله فى الأرض بإقامة دولة الإسلام التى تطبق شرع الله على عباد الله، وهذا التمكين لدين الله فى الأرض تسبقه استعدادات كثيرة، ومراحل عمل متعددة وما لم يشعر الناس بأنهم محبوبون، وبأن الخير يقدم لهم لوجه الله تعالى، فلا يستطيعون الإسهام فى التمكين لدين الله.

* والعمل من أجل الإسلام يحتاج إلى عاملين على كل مستوى من مستويات العمل ومراحله :

- فهو محتاج إلى طوائف من الناس يفهمون الإسلام فهما صحيحا بعيدا عن الغلو فى الدين وبعيدا عن التفريط فيه، ولا يتم هذا على صورته الصحيحة إلا إذا شعر هؤلاء الناس أنهم يحملون عبئا فى الوصول إلى التمكين، ليعرفوا

من خلال ذلك مكانهم ومكانتهم.

وكيف يحملون هذا العبء ما لم يقبل الدعاة عليهم: يحبونهم فى الله ويسدون إليهم والخير دون أن يطلبوا، وليس هذا تفضلا من الدعاة ولا تبرعا، وإنما هو واجبهم الذى أوجبته عليهم الدعوة وحفزهم إليه هذا الحب الإنسانى العظيم.

– وهو محتاج إلى طوائف من الناس يشاركون فى العمل من أجل الإسلام كل بما يستطيع، إذ الفقه الصحيح للعمل من أجل الإسلام يقتضى الإيمان بأن كل فرد من المسلمين والمسلمات على ثغرة من ثغر الإسلام عليه أن يجاهد حتى لا يؤتى الإسلام من قبله.

ولا يعفى من ذلك الواجب إلا من عجز عن الإسهام بشيء

– والعمل من أجل الإسلام – أى للوصول إلى التمكين – محتاج إلى طوائف من الدعاة، يشاركون فى جمع الناس على الحق وتبصيرهم بما يجب عليهم.

وهؤلاء الدعاة لن يهبطوا من السماء دعاة، ولا يمكن أن تنشق عنهم الأرض، وإنما هم أفراد لديهم الاستعداد أو قد توسم فيهم الاستعداد، ويحتاجون مع ذلك إلى إعداد وتربية، وتنمية مواهب ورعاية قدرات، وتدريب على أعمال الدعوة إلى الله.

والدعوة إلى الله ليست مجرد خطب أو محاضرات وإنما هى مجموعة أعمال متشابكة يفضى بعضها إلى بعض ولا يستغنى بعضها عن بعض، ولا يصلح لها إلا من استبانت مواهبه، وأبدى استعدادا للمواصلة حتى يتكون لديه فقه الدعوة وفقه الدعاة وفقه المدعوين[1].

---

(١) انظر للمؤلف : فقه الدعوة إلى الله – كتاب موسع فى فقه الدعوة والدعاة والمدعوين، نشر دار الوفاء ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠م.

– والعمل من أجل الإسلام محتاج إلى طوائف من الحركيين وإلى طوائف من التربويين، وإلى طوائف من القادة[1].

* والعمل من أجل الإسلام – أى الوصول إلى التمكين – محتاج إلى برامج فى الدعوة وفى إعداد الدعاة وفى التربية، وفى فقه التمكين نفسه، بل إلى ما ندعو اليه مسبقا، وهو فقه المحافظة على التمكين والاستمرار فيه.

* والعمل من أجل الإسلام محتاج إلى تنسيق بين العاملين من أجل الإسلام فى جميع الأقطار الإسلامية لتحقيق أهداف ضرورية يبدو لنا منها الآن ما يلى :

– تبادل الآراء وتعميق الحوار بين العاملين للوصول إلى أنضج الخطط وأنسب المناهج وأسلم وأدق وسائل التربية.

– وتبادل الخبرات، برصد الأخطاء والتعرف علي أسبابها والعمل على تلافى تكرارها، ولكى يبدأ التالى من حيث انتهى الأول وهكذا.

– والتعاون على تذليل العقبات ومواجهة التيارات المعادية بالأسلوب الإسلامى الراشد البعيد عن الغضب والانفعال، والذى يعلم العاملون فيه علم اليقين أن الإسلام بعيد كل البعد عن المهاترات والتنابز بالألقاب.

– والتعاون على تكثيف الجهود من أجل المضى فى الطريق مع التواصى بالحق والتواصى بالصبر، والتعاون على البر والتقوى. وحاجة العمل من أجل الإسلام إلى تضافر وتجميع القوى ليست محل جدل أو خلاف، ما كانت كذلك ولن تكون، لأنها من البدهيات التى لا يختلف عليها العقلاء.

---

(١) انظر فى ذلك للمؤلف : فقه المسئولية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٥ هـ.

- والتعاون على توظيف الطاقات والإمكانات فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى، بحيث يحدث هذا التوظيف تكاملا يسد الثغور ويغطى الاحتياجات، وليس بالضرورة أن تكون الأقطار فى طاقاتها سواء، ولكن الضرورى هو أن توظف هذه الطاقات بحيث تكون خطوة على طريق العمل من أجل الوصول إلى التمكين.

وبعـــد :

فتلك هى تربية الإسلام للروح لتستطيع الإقبال على الله بالعمل الصالح المتضمن حب الناس وحب الخير لهم، لتتحقق هذه النتائج الثلاثة التى ذكرنا.

ومن لم تترب روحه من الأفراد والجماعات على ها النحو، فهيهات أن يستطيع الإسهام بشىء فى العمل من أجل الإسلام.

ولعل بطء الخطى أو بعد الهدف يسبب القصور أو التقصير فى تربية الروح هذه التربية.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

سادسا : الثقة فى الله وفى بره بنا واستجابته لنا

وتلك صفة من أهم صفات المؤمنين وسماتهم التى تميزهم عن غيرهم من الناس.

* وهذه الثقة فى الله لاتأتى إلا نتيجة لحب العبد لربه، وهذا الحب لله- كما أوضحنا آنفا- واجب شرعى لايكون الإيمان إلا به، ذلك ما أكدته النصوص الإسلامية الكثيرة، ومنها:

- ماروِاه البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.....»**

* ووسيلة حب الله ورسوله هى القراءة فى المصحف لمعرفة الحلال والحرام والالتزام بالمنهج .

- روى البيهقى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف»** .

* وهذا الحب لله عز وجل يصقل الروح ويجلو عنها الشوائب التى تعكر صلتها بالله تعالى، ويخلصها من الشرك والأغيار ويصلها بخالقها جل وعلا لأنها فى الأصل نفخة منه تعالى.

* وليس من حب الله تعالى تلك الشطحات ولا هذه التوهمات التى تخرج بأصحابها عن نصوص الشريعة وما علم منها بالضرورة كأولئك الاتحاديين والحلوليين ومن إليهم ممن أسقطوا عن أنفسهم التكاليف الشرعية عندما أحبوا الله وعاينوه - كما يزعمون- فهذا ضلال لا يمكن أن يكون حبا لله تعالى، وفيه هذه المخالفات.

هذه الثقة هى التى جاءت نتيجة لهذا الحب لله تعالى، فما معنى هذه الثقة فى الله تعالى؟ وما النصوص المؤيدة لها؟ وما نتائجها؟

هذا ماسنحاول الإجابة عنه بإذن الله تعالى فيما يلى:

[أ] معنى الثقة فى الله تعالى:

* الثقة فى الله- كما أوضحنا - تعنى محبته سبحانه وتعالى، وهذه الثقة يجب أن يترتب عليها اتباع منهج الله والالتزام بكل مافيه، فقد قال الله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[1] . فلاتكون ثقة فى الله دون حب له سبحانه، ولايكون حب دون دليل عليه، وأقوى الأدلة وأولاها بالقبول اتباع رسول الله ﷺ فيما جاء عن ربه من أحكام وآداب وأخلاق.

* ومن معانى الثقة فى الله - أى حبه- أن يلجأ المسلم إلى الأسباب التى تقوى هذه الثقة وتزكيها وتعمق حب الله الذى تولدت عنه، ومن هذه الأسباب - كما قال أسلافنا رضوان الله عليهم - مانورد بعضه للتذكير، فيما يلى:

- القراءة فى المصحف الشريف قراءة تدبر، والعمل بما فيه،
- وأداء الفرائض والتقرب إلى الله بأداء النوافل،
- والتأمل والتدبر فيما يحيط الله تبارك وتعالى به الإنسان من نعم، حتى يمكن الوصول إلى منزلة شكر النعمة،
- والتأسى بالمعصوم ﷺ فى قوله وفعله وكل أمره،
- ومصاحبة الصالحين وأهل التقوى والاستفادة منهم،

---

(1) سورة آل عمران : ٣١.

- والتخلى عن كل قول أو عمل أو صمت أو ترك يغضب الله تبارك وتعالى لمخالفته ما جاء به الإسلام .

* ومن معانى الثقة فى الله الاتصاف بصفات أخبر سبحانه وتعالى أنه يحبها فى أصحابه، ومنها :

- تقوى الله، فقد قال تبارك وتعالى : **﴿إن الله يحب المتقين﴾**[1] .

- والتوكل على الله، فقد قال سبحانه : **﴿إن الله يحب المتوكلين﴾**[2] .

- والتطهر المعنوى والمادى من كل مايغضب الله تبارك وتعالى، مع التوبة سريعا عن كل ذنب، قال الله تعالى: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾**[3].

- والعدل وهو القسط الذى أخبر الله تعالى أنه يحب أصحابه، فقال تعالى: **﴿إن الله يحب المقسطين﴾**[4] .

- والإحسان بكل معنى من معانية التى تحدثنا عنها آنفا، قال الله تعالى: **﴿والله يحب المحسنين﴾** [5] .

- والجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾**[6] .

- والصبر، قال الله تعالى : **﴿والله يحب الصابرين﴾**[7] .

---

(١) سورة آل عمران : ٧٦ .
(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٢.
(٤) سورة الحجرات : ٩.
(٥) سورة آل عمران : ١٣٤.
(٦) سورة الصف : ٤
(٧) سورة آل عمران : ١٤٦.

* ومن معانى الثقة بالله التخلى عن الصفات التى أخبر الله سبحانه أنه لايحبها فيمن اتصف بها من الناس، وهى كثيرة ومن أبرزها مايلى:

- العدوان على حقوق الله أو حقوق العباد، قال الله تعالى: **﴿إن الله لايحب المعتدين﴾** [1] .

- والظلم: ظلم الناس وظلم النفس، قال جل وعلا: **﴿والله لايحب الظالمين﴾** [2] .

- والفساد والإفساد، فقد قال سبحانه وتعالى: **﴿والله لايحب الفساد﴾**[3] .

- والخيانة بكل أنواعها كخيانة الأمانة وخيانة العهد وكفران النعمة، فقد قال عز وجل: **﴿إن الله لايحب كل خوان كفور﴾**[4] .

- والاستكبار والتكبر على الحق وعلى الخلق، قال الله تباك وتعالى: **﴿إنه لايحب المستكبرين﴾** [5] .

- والاختيال والتفاخر والمباهاة، فقد قال سبحانه وتعالى: **﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾**[6] .

- والإسراف فى كل شىء، وهو التجاوز فى أى عمل يقوم به الإنسان، فقد قال عز من قائل: **﴿إنه لايحب المسرفين﴾**[7] .

* إن التخلى عن هذه الصفات- التى لايحبها الله تبارك وتعالى- هو ثقة

---

(١) المائدة : ٨٧ .
(٢) سورة آل عمران : ٥٧.
(٣) سورة البقرة : ٢٠٥.
(٤) سورة الحج : ٣٨.
(٥) سورة النحل : ٢٣.
(٦) سورة لقمان : ١٨.
(٧) سورة الأعراف : ٣١.

فيه سبحانه نابعة من حبه وحب مايحبه، وبغض مايبغضه سبحانه وتعالى .

* ومن معانى هذه الثقة فى الله تعالى التى تترتب عليها الثقة فى بره بخلقه، وأنه يحبهم وماشرع لهم ماشرع من الدين إلا براً بهم، والله تبارك وتعالى قد سمى نفسه البر، قال جل ذكره: **﴿إنه هو البر الرحيم﴾**[1] ، وذلك أن من كان على ثقة فى بر الله به استجاب لما أمره به ولما نهاه عنه، واعتبر تلك الاستجابة من بر الله به ورحمته له .

* ومن معانى الثقة فى الله تبارك وتعالى، اعتقاد المؤمن أن الله تعالى سوف يستجيب له إذا دعاه، وهذا من شروط الإيمان بالله تبارك وتعالى، فقد قال تبارك وتعالى: **﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾**[2] ، وقال جل شأنه: **﴿وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾**[3] .

* إن الروح التى تربَّى على هذه الثقة فى الله تعالى، وفى بره بخلقه واستجابته لدعوات عباده الصالحين، هى الروح التى تعرف طريق الإيمان وتلتزم بالسعى فيه وتتحمل مايعترضها فى هذا الطريق من عقبات، واثقة من أن الله تبارك وتعالى سوف يستجيب لها وللحق، الذى تدعو إليه، فينصرها فى كل معركة تخوضها، بالطريقة التى يختارها سبحانه وتعالى، وفى الوقت الذى يراه مناسبا.

* إن التربية الإسلامية للروح تستهدف الوصول بها إلى هذا المستوى من الإيمان بالله والثقة فيه .

فكيف نؤصل هذه الثقة فى الله المتولدة عن حبه سبحانه وتعالى؟

هذا ماسنحاوله الآن فى هذه الصفحات والله المستعان .

---

(١) سورة الطور : ٢٨ .

(٢) سورة غافر : ٦٠ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٩.

[ب] تأصيل هذه الثقة بالنصوص الإسلامية :

قدمنا أن الثقة فى الله تعالى نابعة من حبه سبحانه وعن رغبة الإنسان فى التقرب إليه بما يحب وعن التوكل عليه بكل حال.

والنصوص الإسلامية الدالة على وجوب هذه الثقة فى الله تعالى – ليصح الإيمان ويسلم الإسلام –كثيرة نذكر منها مايلى:

غير أننا ننبه قبل سرد هذه النصوص أن الثقة بالله هى الاطمئنان إليه تعالى والسكون إليه والتوكل عليه وتفويضه سبحانه وتعالى فى كل أمر، مع ضرورة الأخذ بالأسباب التى دعا إليه سبحانه وتعالى، حتى لاتتحول الثقة والتوكل إلى تراخ وتواكل.

– ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾(1) .

– وقوله جل شأنه: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون**﴾(2) .

– وقوله جل وعلا: ﴿**فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾(3) .

وهذه الآية الكريمة خطاب لأم موسى عليه السلام، إذ لولا ثقتها فى الله تبارك وتعالى لما ألقت بوليدها فى الماء تتجاذبه أمواجه.

– وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا

---

(1) سورة المائدة : ٢٣.
(2) سورة الأنفال : ١٢ .
(3) سورة القصص : ٧.

له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» .

– روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله**» .

– وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدى بى، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر**» .

– وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا دعانى**» .

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، مالم يستعجل، قيل: يارسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**» .

– وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن عثمان بن أبى العاصى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادى مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا**»[1] .

وبعد: فتلك بعض النصوص التى توجب الثقة بالله وحسن الظن به، واليقين بأنه يستجيب لدعواتنا برا بنا وحنانا علينا مادمنا مؤمنين نعمل الصالحات.

---

(١) العشار : من يأخذ على السلع مَكْسا .

[ج] نتائج هذه الثقة في الله تعالى :

من كان على ثقة فى الله تعالى، وعلى ثقة فى حبه لله وبر الله تعالى به واستجابته لدعائه، فإنه بهذه الثقة يحصل على خيرى الدنيا والآخرة.

* ولهذه الثقة فى الله تعالى نتائج جليلة نستطيع أن نذكر منها مايلى :

النتيجة الأولى :

من وثق فى الله تعالى أحسن التوكل عليه، وتفويض أمره إليه، والتسليم فى كل مايأمر به، وماينهى عنه وما يُحَبُّ فيه ومايبغض.

* وإذا أحسن الواثق فى الله التوكل عليه وفق فى أمره كله، وكان أمامه كل عسير سهلا، وكل عمل ناجحا.

- وروى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا**».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**يافلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرا**» .

* ومن كان من الله بهذه الرعاية كل مصدر خير لنفسه، ولأهله ولذويه وجيرانه وللمجتمع الذى يعيش، إنه إنسان يحسن الأخذ بالأسباب، ويحسن أن يقول عند كل موقف «حسبنا الله ونعم الوكيل» .

والنتيجة الثانية :

أن من كان على ثقة بالله وفى حبه لله، وبر الله تعالى به أكثر من الدعاء، ودعاء الله باب مفتوح لخيرى الدنيا والآخرة، وهو عبادة لله تعالى بل مخ العبادة.

– روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»** .

– وروى الترمذى أيضا بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: **«الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: وقال ربكم ادعونى أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين»** .

– وروى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«الدعاء مخ العبادة»** .

* والواثق فى الله تعالى لابد أن يثق فى أنه سبحانه سوف يستجيب دعاءه، بل عليه أن يوقن بذلك.

– روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لايستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ»** .

– وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ماسأل، أو كف عنه من سوءٍ مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»** .

* ومن ترك دعاء الله أغلق على نفسه باب الرحمة والقبول، وأصبحت الدنيا همه وشاغله، ونسى الله فى شدته ورخائه، ومن كان كذلك خسر كثيراً فى دنياه وآخرته وتعرض للخذلان.

- روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له»** .

والنتيجة الثالثة :

أن من كان على ثقة بالله، رجا منه تعالى الخير، واستعان به على كل مايريد من حق وخير، وقرب بذلك من الله تعالى، وتعلم أدب الاستعانة بالله تعالى واتبعه .

- روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : **«استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذى نعمة محسود»** .

- وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الدين يسر، ولايشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة»** .

* إن من أحسن الاستعانة بالله كفاه مؤونة أمره كله، بشرط أن يأخذ بالأسباب.

- روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«ياغلام: إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله**

لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» .

* هكذا يربى الإسلام الروح على حب الله والثقة فيه، وفى بره بخلقه، واستجابته لدعاء الصالحين من عباده .

سابعا : الرضا بقضاء الله وقدره

الرضا بقضاء الله وبقدره نابع عن الإيمان، أى الرضا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وقد ثبت ذلك فى السنة النبوية الصحيحة.

– روى الإمام مسلم بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر الله له ما تقدم من ذنبه»** .

– وروى الترمذى بسنده عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»** .

* قال الأسلاف من العلماء تعقيبا على هذين الحديثين الشريفين: هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهى .

وقد تضمنا مايلى:

– الرضا بربويته سبحانه وتعالى، والرضى بألوهيته سبحانه ،

– والرضا برسوله نبيا ورسولا، والرضى بكل ماجاء به محمد ﷺ ،

– والانقياد لله تعالى ولمنهجه ومأأحل وماحرم ،

– والرضا بهذا الدين الخاتم والأخذ بكل ماجاء فيه .

* ومن اجتمعت له هذه الصفات، استقام على الحق، وقرب بها من الله، وتأهل بهذا الإيمان أن يكون موضع رضا الله تبارك وتعالى .

وكل ذلك يؤدى إلى الرضا بقضاء الله وقدره، إذ الرضا بالله يقتضى الرضا بما يأمر به وبما ينهى عنه، وهذا يتضمن الرضا بقضاء الله وقدره.

* والرضى بالرسول ﷺ يقتضى كمال الانقياد إليه، فلايُتحاكم إلا إليه، وإلى ما جاء به من شرع ومنهاج، وهذا يقتضى الرضا بقضاء الله وقدره.

* ونحاول فى الصفحات التالية أن نلقى ضوءا على معنى الرضا بقضاء الله وقدره، وتأصيل هذا الرضا، وتعرف نتائجه فى الفرد والمجتمع .

[أ] معنى الرضا بقضاء الله وقدره :

* من معانى الرضا بقضاء الله وقدره، ألا يكره العبد شيئا مما يجرى به قضاؤه وقدره سبحانه وتعالى، وهو من صميم رضا الله تبارك وتعالى، ورضا الله تعالى مطلب حث عليه القرآن الكريم .

– قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كان مؤمنين**﴾[1] فشأن المؤمن أن يقدم رضا الله على كل عمل وكل محاولة رضا لأحد من الناس، وإلا كان أشبه فى عمله هذا بالمنافقين الذين حلفوا للمسلمين ليرضوهم، فردهم الله تبارك وتعالى إلى الحق، وهو إرضاء الله تعالى قبل كل إرضاء.

* ومن معانى الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، أنه يعنى أحد أركان الإيمان الستة المعروفة التى دار الحوار حولها بين رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام، فقد جاء فى الحديث الشريف .

– روى الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض

(١) سورة التوبة : ٦٢ .

الثياب... إلى أن قال له جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان، قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت...**» ؟

– وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بعض الوفود «**فقال: «ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فقال: ماعلامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال: مؤمنون ورب الكعبة**» .

* ومن معاني الرضا بقضاء الله وقدره أنه صفة أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام وورثتهم في الإيمان والإسلام، وذلك أن القضاء والقدر منشؤهما علم الله وقدرته، فمن أنكر القضاء والقدر، فقد أنكر علم الله وقدرته، ومن أنكر ذلك فقد كفر بالله.

يشرح ذلك ابن القيم في قوله: «إن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر، والحِكَم والغايات المحمودة في أفعال الرب وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي، وصدقوا بالوعد والوعيد، فآمنوا بالخَلق الذي من تمام الإيمان به إثبات القَدَر والحكمة، وآمنوا بالأمر الذي من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والأمر، ولم ينفوهما بنفي لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية، والقدرية المعارضة للأمر بالقدر، وكانوا أسعد الناس بالخلق وأقربهم عَصَبَة في هذا الميراث النبوي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[(١)] .

* ومن معاني الرضا بالقضاء والقدر ماجاء على لسان يحيى بن معاذ[(٢)]

---

(١) ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين ١١٢ . ط المنيرية بالقاهرة ١٣٥٧هـ .

(٢) إمام واعظ زاهد ت ٢٥٨ هـ. يقال: لم يكن له نظير في وقته .

عندما سئل عن الرضا فقالوا له: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا ؟

فقال: «إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه فيقول:

إن أعطيتنى قبلت ..

وإن منعتنى رضيت ..

وإن تركتنى عبدت ..

وإن دعوتنى أجبت ..»

ومن رضى هذا الرضا، فقد رضى بقضاء الله وقدره .

[ب] النصوص الدالة على الرضا بالقضاء والقدر:

لابد من أن أفرق بين الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بالقضاء والقدر حتى لاتختلط الأمور على بعض القراء .

* فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة التى أشار إليها الحديث الشريف الذى ذكرناه آنفا .

ونحن نورد أولا نصوصا دالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، ثم نورد بعدها نصوصا دالة على استحباب الرضا بالقضاء والقدر، ونسأل الله التوفيق .

* فمما يؤكد وجوب الإيمان بالقضاء والقدر مايلى :

– قال الله تعالى : **﴿ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**[1] .

– وقال جل شأنه: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء﴾**[2] .

– وروى الإمام مسلم بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال

(1) سورة الشمس : ٧–١٠ .

(2) سورة الأنعام : ١٢٥ .

رسول الله ﷺ : **«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»** .

– وروى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى هو أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة»** .

– وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«أتدرون ماهذا الكتاب؟ فقال للذى فى يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجْمِلْ[1] على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولاينقص منهم أبدا، ثم قال للذى فى شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولاينقص منهم أبدا، سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أى عمل، فرغ ربكم من العباد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير»** .

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، فاحرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله ماشاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان »** .

---

(١) أى احصوا فيه وجمعوا، ولن يقبلوا الزيادة.

– وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال: ردفت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: «**ياغلام، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، رفعت الأقلام وجفت الصحف، لو جهدت الأمة على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو جهدت الأمة على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله لك، واعلمْ أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**» .

* تلك هى النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة تؤكد وجوبَ الإيمان بالقضاء والقدر .

* وهناك كلمات لبعض علماء المسلمين من الصحابة رضى الله عنهم، ومن كبار التابعين – رحمهم الله – تؤكد كذلك وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، نذكر منها مايلى استئناسا بفهمهم لتلك النصوص الإسلامية، وهو فهم صحيح لهذا الدين حيث كانوا أقرب إلى الرسول ﷺ وأكثر قدرة على فهم هذه النصوص.

– قال طاووس[1] : أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شىء بقدر » .

– وقال أيوب السختيانى[2] : «أدركت الناس، وماكلامهم إلا أن قُضِى، وأن قدر» .

(١) هو طاووس بن كيسان، ولد سنة ٣٣هـ وتوفى ١٠٦هـ. وهو من أكابر التابعين، تفقها فى الدين ورواية للحديث وزهدا وورعا وتقشفا فى العيش وجرأة على الخلفاء والحكام .

(٢) هو أيوب السختيانى ولد سنة ٦٦هـ ، وت١٣١هـ، وهو تابعى من حفاظ الحديث وكان ثبتا ثقة روى عنه ثمانمائة حديث، وكان ناسكا زاهدا وسيد فقهاء عصره .

– وقال ابن القيم: «.... فأما مقام الإيمان والهدى والنجاة، فمقام إثبات القدر والإيمان به، وإسناد جميع الكائنات إلى مشيئة ربها وبارئها وفاطرها، وأن ماشاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس ..

وتبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد، ولبس جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه»[1] .

* وأما الرضا بالقضاء والقدر، فإن جمهور علماء الحنابلة يرون أنه مستحب وليس بواجب .

وقال بعض العلماء في المذهب إنه واجب، وهما قولان في مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

وقد حسم ابن القيم هذه القضية بقوله: «وسر المسألة أن الرضا بالله يستلزم الرضا بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، ولايستلزم الرضا بمفعولاته كلها، بل حقيقة العبودية: أن يوافقه عبده في رضاه وسخطه فيرضى منها مايرضى به ويسخط منها ما سخطه»[2] .

ثم أفاض ابن القيم في أن المؤمن تستوى النعمة والبلية عنده في الرضا بهما لوجوه، ذكرها وبلغ عددها واحدا وستين وجها.

ويقول في بعض هذه الوجوه: «ونكتة إيمانه بأن قضاء الرب تعالى خير له، كما قال النبي ﷺ : «**والذى نفسي بيده، لايقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن**»[3] .

---

(١) ابن القيم: طريق الهجرتين: ١٠٢– ١٠٣هـ – مرجع سابق .
(٢) ابن القيم: مدارج السالكين: ٢١١/٢ ط دار الكتب العلمية لبنان ١٤٠٣ هـ– ١٩٨٣ م.
(٣) السابق: ٢١٥/٢.

ثم يقول: «إن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا: امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه».

فالرضا يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله»[1] .

وبعد: فما نتائج هذا الرضا بالقضاء ؟

ذلك ما سنوضحه في الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

[ج] نتائج الرضا بقضاء الله وقدره :

إن هذه النتائج في تربية الروح أكثر من أن تحصى في هذا المجال أو في تلك الصفحات :

وعلى سبيل المثال: فإن الرضا بقضاء الله وقدره يحقق مايلي:

- يقوى الإيمان بالله ويعزز الإسلام له سبحانه وتعالى،
- ويعلم التوكل على الله وتفويض الأمر له بعد الأخذ بالأسباب،
- ويعلم الطمأنينة ويوصل إلى السكينة،
- وأنه من سعادة الإنسان، روى الترمذى بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من سعادة ابن آدم: استخارة الله عز وجل، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله»** .
- وأنه يصل بالنفس إلى مرحلة الإقبال على الطاعات وترك المخالفات،
- وأنه يعلم حسن الخلق في التعامل مع الله تبارك وتعالى، وفي التعامل مع الناس، وحسن الخلق قد أثنى عليه رسول الله ﷺ.

---

(١) السابق : ٢١٧/٢ .

روى البيهقى فى السنن بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**أثقل شىء فى ميزان المؤمن خلق حسن...**» .

– وقد دعا رسول الله ﷺ– وهو المغفور له– ربه أن يهيىء له الرضا بالقضاء، فقدر روى النسائى بسنده عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحينى ماعلمت الحياة خيرا لى، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى، اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص فى الرضا والغضب، وأسألك القصد فى الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**».

وبعد: فإن نتائج الرضا بقضاء الله وقدره فى تربية المسلم أكثر من أن تحصى هنا.

وحسبنا أن نقول :

إن الرضا بالقضاء والقدر يقيم الإنسان على الصراط المستقيم صراط الله، ويعلمه كيف يتعامل مع نفسه – ومع ربه سبحانه ومع الناس – المعاملة التى شرعها الإسلام وسنها محمد ﷺ. وحسبنا بهذه نتائج.

الفصل الثالث :

أثر التربية الروحية ويشمل :

١ - أثر التربية الروحية في الإنسان نفسه،

٢ - وأثرها في الأسرة والمجتمع،

٣ - وأثرها في العمل من أجل الإسلام.

أثر التربية الروحية

لا شك أن التربية الإسلامية للروح – على نحو ما أوضحنا فى هذا الكتاب – تعطى المسلم القدرة على ممارسة حياة إسلامية صحيحة بعيدة عن الغلو والتفريط.

* فبعض المسلمين يغالون فى تقدير الروح – فيزعمون أنها بالتربية والرياضة تستطيع أن تخترق حواجز الزمان والمكان – من أولئك الذين ضلوا فقالوا بالحلول والاتحاد، وما إلى ذلك من التهويمات التى تخرج عن إطار ما شرع الله.

* وبعضهم أهمل هذه الروح مغاليا فى تقدير البدن، داعين إلى الاستجابة لكل مطالبه، مفرطين بذلك أيضا فيما شرع الله لهذا البدن – الذى تسكنه الروح – من نظام.

* إن هذين التصورين للروح والبدن بعيدان عن التصور الصحيح للحياة الإسلامية الصحيحة التى تترسم هدى الشريعة الإسلامية وتقفو أثر الرسول ﷺ فى التوسط والاعتدال.

إن هذا التصور الصحيح للحياة الإسلامية يرى فى الروح أو النفس نفخة من روح تعالى أودعها فى الإنسان يوم خلق آدم أبا البشر عليه الصلاة والسلام، وأن هذه الروح تزكو بالطاعات وتخبو بالمعاصى : **﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**[1].

وترى البدن صاحب حق فى التعبير عن طاقاته وحاجاته وشهواته، ولكن فى

---

١) سورة الشمس : ٩ – ١٠.

إطار شرعية معينة، وفى حدود ما أحل الله وما حرم، فلا يجوز حرمان هذا الجسد من التعبير عن طاقاته ولا مما أباح الله من الزينة والطيبات، **﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾**[1] و**﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾**[2].

* بل إن هذا التصور الصحيح للحياة الإنسانية الإسلامية يعنى – إلى جانب تربية الروح – بتربية البدن والعقل والخلق والتدين، ويربى الإنسان تربية اجتماعية وسياسية واقتصادية وجهادية وجمالية[3].

* هذه التربية الروحية، لها آثار عميقة فى مجالات ثلاثة هى :

١ – الإنسان نفسه،

٢ – والأسرة والمجتمع اللذان يحيطان به،

٣ – والعمل من أجل الإسلام.

وسوف نوضح هذه الآثار فى هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب، محاولين التركيز على الخطوط العريضة لهذه الآثار، سائلين الله تعالى العون والتوفيق.

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢.

(٢) سورة الأعراف : ٣١.

(٣) تلك هى مفردات التربية الإسلامية فى حلقاتها العشر التى تعد التربية الروحية أولاها، ثم تتابع بإذن الله تعالى.

١ – أثر التربية الروحية فى الإنسان نفسه

إن تربية الروح على النحو الذى حددنا دعائمه وعرفنا بوسائله العملية، وأوضحنا فيه الالتزام بسمت المؤمنين، وأهم ما يميز هذا السمت من صفات سبعة أصيلة راسخة فى تربية روح المؤمنين.

* إن هذه التربية لابد أن تترك آثارا فى الإنسان نفسه، يمكن أن نشير إلى بعضها فيما يلى :

أولا :

تصقل الإنسان، وتخلص روحه من شوائب الشك والارتياب والتردد، وتغرس فيه الإيمان واليقين، وتقضى على التردد وتعلمه الإيجابية فى تناول أمور حياته كلها، فيصبح عضوا كاملا واعيا منتجا، لا يعرف التخاذل، ولا السلبية، ولا التواكل.

ثانيا :

تعوّد الإنسان حبّ الخير وإيثار الحق، لأنها روح موصولة بالله تبارك وتعالى، ومن كان موصولا به سبحانه وتعالى أحب الخير وآثر الحق.

ولو اتصف الإنسان بهذه الصفة، فسوف يؤثر الخير لنفسه وللناس، وسوف يحب الحق ويتواصى به ويدافع عنه، ويصبر فى سبيله، وهذه الصفة من أهم الصفات التى تدعم الحياة الإنسانية كلها وتوجهها نحو الخير.

ثالثا :

تجعل الإنسان ملتزما بالمنهج الذى اختاره الله تبارك وتعالى للبشرية كلها

دينا، والالتزام بهذا المنهج خير تزكية لهذه الروح، وتؤدى إلى خير أنواع الاستقامة على دين الحق، ومنهج الحق. ومن شأن هذا الالتزام بالمنهج أن يهيئ للإنسان حياة إنسانية كريمة لنفسه، ولكل من يحيط به.

رابعا :

هذه التربية للروح، تؤدى إلى القرب من الناس، وحبهم والتعاطف معهم، وتجعل الإنسان محبا للخير عموما، وراغبًا فى خدمة الناس وتقديم النفع لهم، بل تؤدى به إلى مؤاخاتهم فى الإسلام والتعاون معهم على البر والتقوى، وفى هذا دعم للروابط الاجتماعية الإنسانية التى جاء بها الإسلام ليقرها بين الناس، وفى هذا ما فيه من محاصرة الجريمة والتضييق على الراغبين فى المعصية.

خامسا :

وهذه التربية تيسر للإنسان قدرا كبيرا من التوفيق فى كل عمل يقوم به، وفى كل كلام يقوله، لأن تلك الروح بهذه التربية قد أقبلت على الله تعالى بالنوافل حتى أحبها سبحانه وتعالى، فكان سبحانه – كما جاء فى الحديث القدسى – السمع والبصر واليد.. لهذا الإنسان، وأى توفيق أكبر بالنسبة لإنسان يرى بعين الله ويسمع بأذنه ويبطش بيده ويمشى برجله؟ إنه التوفيق الذى ليس كمثله توفيق.

سادسا :

وهذه التربية تعلِّم الروح قلة الخطأ وندرة التجاوز لما جاء به الإسلام من أحكام وشروط وآداب، نعم : كل ابن آدم خطَّاء، ويستحيل أن يكون الإنسان معصوما من الخطأ، ولكن الروح التى تربت تربية إسلامية تجعل الإنسان أقل

خطأ وأكثر تراجعا عنه وندما عليه وتوبة منه، وتلك ميزة تعود بالخير على الإنسان وعلى المجتمع كله، ويتناسب هذا طرديا كما زاد عدد الذين ربوا تربية إسلامية روحية.

سابعا :

وهذه التربية تعوّد الروح حب المعروف وكراهية المنكر، فتجعل صاحبها يقبل على ممارسة الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، على اعتبار أن ذلك واجب أوجبه الشرع وحدد له شروطا وآدابا، وجعل ممارسته من واجب كل قادر عليه من الناس، بل من أبرز أولويات العمل الذى يعود على المجتمع كله بخيرى الدنيا والآخرة.

وما ظننا بمجتمع يمارس أفراده المعروف، وينهون عن المنكرات؟

* تلك آثار التربية الروحية فى الإنسان نفسه، نراها أعظم الآثار وأقدرها على تكريم الإنسان الذى كرمه الله تعالى وفضله على كثير ممن خلق.

٢ - أثر التربية الروحية فى الأسرة والمجتمع

نحن معشر المسلمين نؤمن - كما علمنا ديننا - أن الأسرة هى وحدة بناء المجتمع وتكوينه، ولا يمكن تصور مجتمع مسلم يعج باللقطاء وغير المنتمين إلى أسرة، مهما زين ذلك غيرنا من المجتمعات التى لا تدين بدين الإسلام؛ لأن دور التربية والرعاية للأطفال الذين تخلى عنهم آباؤهم وأمهاتهم - فى لحظات الطيش وممارسة الفاحشة - لا يمكن أن تعوضهم هذه الدور ما فقدوه من دفء الأسرة وحنانها ورعايتها الفطرية.

* إن الإسلام عموما والتربية الإسلامية على وجه الخصوص تقيم أكبر وزن للقيم التى يجب أن تسود الأسرة ليشب فيها الأبناء محصنين بهذه القيم.

* ونحن المسلمين نؤمن إيمانا راسخا بأن التعبير عن الطاقة الجنسية عند الرجال والنساء لا سبيل إليه إلا بالزواج الشرعى الذى وضع الإسلام أحكامه وشروطه: الزواج بين رجل وامرأة، لا بين رجل ورجل أو رجل وبهيمة أنثى أو بين امرأة وأخرى، أو امرأة وحيوان ذكر، كما تدعو إلى ذلك بعض الدول وتشجع عليه باسم الحرية الشخصية!!!

* ومن أجل هذه الحقائق والإيمان الراسخ بها كانت تربية الروح - على النحو الذى فصلنا فيه القول فى هذا الكتاب - ذات أثر فاعل فى الأسرة وفى المجتمع الذى هو عدد من الأسر ذات القيم النابعة من الإسلام.

* إن التربية الإسلامية للروح تترك آثارا عديدة نافعة في الأسرة والمجتمع، نذكر منها ما يلى :

أولا :

بناء الأسرة المسلمة على أسس صحيحة عند تكوينها منذ البداية، لأن الزوج يختار زوجته وفق معايير إسلامية، وكذلك يفعل أولياء الزوجة عندما يتقدم إليهم راغب فى الزواج، وهى معايير ثابتة فى كل زمان ومكان وهى التدين وحسن الخلق، لأن تلك المعايير هى التى تمكن الزوجين من أن يشقا طريق الحياة بأمن وأمان ومودة ورحمة، وقيمْ إنسانية فاضلة جاء بها الإسلام وألزم بها.

ثانيا :

ورعاية أبناء الأسرة رعاية إسلامية، تنشئهم على تلك القيم التى تكفل لهم حياة عائلية طيبة تقوم على حب الخير وإيثار الحق، فضلا عن الحب المتبادل بين جميع أفراد الأسرة، والبر بالآباء والعطف على الأبناء.

إن الإسلام يوسع مفهوم الأسرة لتشمل الآباء الأعلين من جدود وجدات، والآباء الحكميين من أعمام وأخوال وعمات وخالات، تشمل الإخوة والأخوات وتضم الأقارب والأرحام، ثم تتسع الأسرة لتشمل المجتمع كله، وكل فرد من أفراد الأسرة الصغيرة أو الكبيرة أو الكبرى له حقوق يجب أن تؤدى له، وعليه واجبات يجب أن يؤديها، وبهذه القيم تعيش الأسرة والمجتمع أفضل حياة إنسانية.

ثالثا :

واذا ربيت الروح تربية إسلامية انعكس ذلك على الأسرة بجميع أفرادها -عائلة ومجتمعا - فى صورة تعامل حسن يستهدف رضا الله تبارك وتعالى الذى أمر بهذا الإحسان فى المعاملة، واتسعت دائرة التعامل الحسن حتى تشمل المجتمع كله ناسه وأشياءه.

ومثل هذه المعاملة الحسنة القائمة على القيم الإسلامية، من شأنها أن تغرس بين الناس الحب والوئام والتعاون، وتزيل من طريقهم العقبات والعراقيل وأسباب الخلاف والتفرق والخصام.

رابعا :

وهذه التربية تلزم الأسرة والمجتمع بأحكام الإسلام ونظمه وشروطه، وآدابه فى كل شيء: فى المسكن والملبس والمطعم والمشرب، وآنية البيت وأثاثه والمقيمين فيه، وزواره وجيرانه، وكل ما يتصل بهذه الأسرة من أعراف وتقاليد.

وهذه الأسرة الملتزمة المنضبطة مع منهج الإسلام وأحكامه تدفع بأبنائها -وقد نشئوا فى البيت تنشئة حسنة - إلى المدرسة متعلمين تحكمهم قيم فاضلة، وإلى المسجد متعبدين تقودهم إلى العبادة عقيدة تكونت تكوينا صحيحا، وإلى المجتمع أفرادا صالحين يحبون الخير ويؤثرون الحق ويحسنون التعاون مع الناس جميعا.

خامسا :

هذه التربية تشجع هذه الأسر كلها على حسن الجوار، لإيمانها بوصاة الرسول ﷺ بالجار التى تقتضى بره وحب الخير له، والتعاون معه على البر والتقوى، وعلى التغلب على كل المتاعب والمشكلات، لأن التربية الإسلامية للروح تجعل المجتمع كله متآخيا فى الإسلام.

وفى ظل هذه القيم تستطيع هذه الأسر أن تتبادل المنافع والخدمات، وأن تتعاون فى كل ما يعود عليها - أو على المجتمع كله - بالنفع والفائدة.

وتلك التربية تنفى عن هذه الأسر أسباب التخاصم والتعادى، والتصور الخاطئ فى تضارب المصالح، إذ الحق هو تقارب مصالح المسلمين لا تضاربها أو تعارضها.

وبحسب المجتمع المسلم خيرا وعافية، أن تتعاون فيه الأسر والأفراد على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

سادسا :

وإسهام هذه الأسر بكامل أعضائها فى المشروعات التى تعود على الحى الذى تسكن فيه أو القرية أو المدينة بالخير والمنفعة، ونستطيع أن نضرب لذلك بعض الأمثلة :

- تعهد المساجد بالنظافة والنظام والرعاية،

- والمحافظة على البيئة من كل ما يلوثها أو يسيء إلى جمالها ونظافتها،

- والمحافظة على المرافق العامة،

- ومدّ يد العون لأصحاب الحاجات من يتامى وأرامل وعاجزين عن العمل، أو باحثين عنه،

- والإسهام فى بعض المشروعات الاقتصادية البسيطة التى تدرس دراسة جيدة قبل تنفيذها.

سابعا :

والتربية الإسلامية لهذه الروح تؤثر فى أفراد المجتمع كله تأثيرا اقتصاديا - بالإضافة إلى التأثير الاجتماعى الذى أشرنا إليه آنفا - فيشب الأفراد على القيم التالية :

- حب الاعتدال فى الإنفاق، وفى الطعام والشراب والملبس والمسكن.

- والعمل على ادخار بعض الدخل لمواجهة الظروف المفاجئة، وهى غير قليلة فى حياة الناس.

- ورفض الإسراف بل محاربته والوقوف ضده فى أى شيء، مع ترشيد الاستهلاك فى كل حال.

- وإحداث نوع من التكافل بين عدد من الأسر أو الأفراد، لزيادة القدرة على مواجهة الظروف المفاجئة.

* إن هذه التربية تمكن الأسرة والمجتمع من القدرة على مواجهة المتغيرات فى أمن وأمان.

٣ - أثر تربية الروح فى العمل من أجل الإسلام

التربية الإسلامية للروح تترك فيها أعظم الآثار، وتولد فيها أكبر الحوافز والدوافع على الانخراط فى العمل من أجل الإسلام، بحيث يقدم كل إنسان لهذا العمل ما يستطيعه، ومالا يدخله فى حرج مع نفسه أو ظروفه المحيطة به.

* وكل مسلم مطالب أن يقدم من أجل الإسلام كل ما فى وسعه. وما يضيِّع المسلمين ويقلل من شأنهم ويصيبهم بالفرقة والانقسام والفقر والحاجة مثلُ أن يبخل المسلم بوسعه، فلا يقدمه من أجل الإسلام، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

* والعمل من أجل الإسلام شعب عديدة وفروع كثيرة، ولابد لكل شعبة ولكل فرع من مسهم بوقته وجهده وماله الذى يستطيع، وكل إسهام فى ذلك يقرب المسلمين من غايتهم وهى أن يمكنوا لدين الله فى الأرض، ويحكموا بمنهج الله ونظامه وأحكامه وآدابه ليأمنوا الظلم والاستبداد، ويمارسوا حياتهم الإنسانية الكريمة التى ارتضاها الله تعالى لهم.

* ولكى تتضح الصورة فى هذه الشُعب والفروع، ومن أجل أن يعرف كل مسلم ماذا عليه أن يفعل أيا كان مكانه من هذه الشعب والفروع وأيا كانت مكانته، من أجل ذلك نذكر بهذه الشعب وتلك الفروع للعمل من أجل الإسلام على النحو التالى، والله ولى التوفيق.

أولا :

التزام المسلم بأركان الإيمان الستة، وقواعد الإسلام الخمسة، وبالعدل

والإحسان، وبممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

كل ذلك فى إطار العمل والتنفيذ لا مجرد الكلام والهرطقة، لأن التعبير عن الإيمان هو العمل الصالح.

ثانيا :

ممارسة الدعوة إلى الله على بصيرة، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، مع فقه لهذه الدعوة: طبيعتها وأهدافها ووسائلها ومراحلها وشروطها وآدابها.

ومعرفة لما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله من صفات روحية وعقلية واجتماعية وسياسية، ومحاولة توفير هذه الصفات، ما وجد إلى ذلك السبيل.

ثالثا :

ممارسة الحركة من أجل الإسلام، وهى الاختلاط بالناس وحبهم وحب الخير لهم، وجذبهم إلى كل ما يرضى الله تعالى من قول وعمل، وتعليمهم الاجتماع والتعاون على فعل الخير، وتعهدهم بما يصلح لهم شئون دينهم ودنياهم، ومدهم بما يحتاجون إليه من زاد ثقافى ومعرفى فى مجالات الحياة، وكل مسلم عنده قدرة على شيء من ذلك، وليس له أن يبخل به.

رابعا :

العمل على تربية الناس وتشجيعهم على فهم الإسلام عقيدة وشريعة وعلما وعملا، وتعهد قلوبهم وعقولهم وأبدانهم بكل ما ينميها ويحسن آداءها، ويمكنها من آداء وظائفها فى الحياة على وجهها الصحيح.

خامسا :

تدريب الناس على تطبيق الإسلام على حياتهم تطبيقا عمليا، يتناول سلوكهم الفردى والاجتماعى، ولا يدرب على ذلك أسلوب كأسلوب القدوة النابعة من المعصوم ﷺ.

وهذا التدريب هو الذى يمكن الناس من أن يعدوا أنفسهم لتحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وليردوا عن الإسلام والمسلمين تلك الهجمات التى توجه إليهم، ولا يملكون أن يفعلوا تجاهها شيئا.

إن تكوين المجاهد وإعداده عمل من أهم ما تستهدفه التربية الإسلامية فى كل حين، وباستمرار.

سادسا :

إسهام كل مسلم بما يستطيع من جهد أو وقت أو عمل أو علم أو مال، ليشارك فى التمكين لدين الله فى الأرض، حتى يحقق المسلمون أكبر أهدافهم بذلك، وهو أن يُحكم الناس بمنهج رب الناس سبحانه وتعالى.

وكل مسلم قادر على ذلك أو على بعضه، لو تأمل وتدبر فى شئونه، حاضره ومستقبله وعرف ماذا يستطيع، لقدم ذلك بنفس راضية تحس بالواجب وتحرص على أدائه، حسبة وتقربا إلى الله تبارك وتعالى.

ومادام كل مسلم قادرا على شيء، فما يُعفى مسلم من تقديم هذا الشيء للعمل من أجل الإسلام.

سابعا :

الاستمرار فى المحافظة على التمكين بعد الوصول إليه، كى لا تحدث انتكاسة

أو انهزام وسقوط، كما حدث فى فترات من تاريخ المسلمين.

ومعنى ذلك أن كل مسلم يجب أن يعتبر نفسه على ثغرة من ثغور الإسلام، ما يليق به ولا يجوز له أن يؤتى هذا الدين من قبله.

وبعد: فتلك أهم مفردات العمل من أجل الإسلام، لكل مسلم من المسلمين فيها نصيب وإسهام.

ولا تفعل التربية الإسلامية للروح ما هو أهم من أن يؤدى المسلم واجبه فى هذه المجالات.

والله يقول الحق ويهدى إلى سواء السبيل.

الخاتمة

نختم هذا الكتاب -كما بدأناه- بحمد الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنتهدى لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق. ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائه محمد المبعوث هدى ورحمة ومعلما ومربيا للإنسانية كلها.

ونسأل الله تعالى أن نكون بهذا الكتاب – وبغيره من كتب هذه السلسلة – قد أسهمنا بشىء فى التعريف بدين الإسلام، وتبصير الناس بالخير الذى جاء به، وحفزهم على التمسك بالحق وتواصيهم به، وعلى الصبر من أجله.

وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

* * * *

ثبت موضوعات الكتاب

قائمة بأعمال المؤلف

أولا : فى الفكر الإسلامى وقضاياه

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج، نشر دار الوفاء بمصر

٢ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى، نشر دار المنار بالقاهرة.

٣ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر.

٤ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، نشر دار المنار بالقاهرة.

٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه، نشر دار الوفاء بمصر.

٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث «دراية»، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٧ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشر دار عكاظ بالسعودية.

٨ – نحو منهج بحوث إسلامى، نشر دار الوفاء بمصر.

ثانيا : فى التربية الإسلامية

٩ – تربية الناشئ المسلم، نشر دار الوفاء بمصر.

١٠ – فقه الأخوة فى الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١١ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء بمصر.

١٢ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء بمصر.

ثالثا : سلسلة التربية في القرآن الكريم

١٣- التربية الإسلامية فى سورة المائدة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤- التربية الإسلامية فى سورة النور، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

رابعا : سلسلة مفردات التربية الإسلامية

١٥- التربية الروحية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

خامسا : في فقه الدعوة الإسلامية.

١٦- فقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر.

١٧- فقه الدعوة الفردية، نشر دار الوفاء بمصر.

١٨- المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر.

١٩- التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٠- عالمية الدعوة الإسلامية، نشر دار الوفاء بمصر.

٢١- فقه المسئولية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

سادسا : سلسلة

في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا

٢٢- فهم أصول الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٣- الإخلاص فى مجال العمل الإسلامى، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٤- ركن العمل أو منهج الإصلاح الإسلامى، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٥- ركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

سابعا : فى الأدب الإسلامى

٢٦- جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه، نشر دار عكاظ بالسعودية.

٢٧- مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه، نشر دار عكاظ بالسعودية.

ثامنا : فى الدراسات الأدبية

٢٨- القصة العربية فى العصر الجاهلى، نشر دار المعارف بمصر.

٢٩- النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، نشر دار عكاظ بالسعودية.

تاسعا : كتب معدة للنشر :

١ - التربية الإسلامية فى سورة آل عمران.

٢ - التربية الإسلامية فى سورة النساء.

٣ - التربية الإسلامية فى سورة الأنفال.

٤ - التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب.

٥ - باقى سلسلة مفردات التربية الإسلامية وهى : التربية الخلقية، والتربية العقلية، والتربية البدنية، والتربية الدينية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية، والتربية الاقتصادية، والتربية الجهادية، والتربية الجمالية.

٦ - باقى سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا وهى :

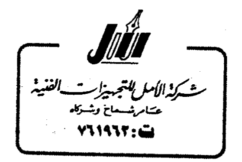
التضحية، والطاعة، والتجرد، والثبات، والأخوة، والثقة.

٧ - المدخل إلى التربية الإسلامية.

٨ - التربية الإسلامية فى المدرسة.

٩ - التربية الإسلامية فى المجتمع.

* * * *



رقم الإيداع ١١٤٢٦ / ١٩٩٤م

الترقيم الدولى
I . S . B . N . 977 - 265 - 109 - 2

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٣٣١٤ فاكس : ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت : ٦١٨١٣٧